٩

أضواء جديدة في دور المهالبة السياسي والثقافي في جُرجان

(٩٧ -٣٨٦هـ/ ٧١٥- ٩٩٦م)

أ. د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
nours1234@yahoo.com

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز ملامح دور المهالبة السياسي والثقافي في جرجان، وبيان أهميته في التاريخ الإسلامي، وتسليط الضوء على مآثر آلِ المهلب ومناقبهم المنسية؛ بتوظيف بعض المصادر المنشورة والمُحققة، التي لم توظف من قبل بالقدر الذي يتناسب وأهميتها، مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وتاريخ جرجان للسهمي الجرجاني. وقد تحددت الفترة من ٩٧هـ/ ٧١٥م إلى ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م مجالا زمنيا للدراسة؛ وهو التاريخ الذي يمثل بداية دور المهالبة السياسي والثقافي بجرجان، وتاريخ وفاة أبي ذر جندب بن أحمد آخر من عثرنا عليه من مشاهير آل المهلب هناك. وقد توصلت الدراسة إلى أن المهالبة في الأصل عمانيون، غير أن نشأتهم وإقامتهم خارج عُمان جعلتهم لا يُعرَفون هناك إلا بالنسبة إلى البلد الذي سكنوه وتناسلوا به. وكشفت الدراسة أن يزيد بن المهلب كان خبيرًا بأحوال منطقتي جرجان وطبرستان، وأنه لم يُبالغ في تقدير خطورة إغفال المسلمين لجرجان دون الاستيلاء عليها؛ مما أدى إلى بروزه كفاتح عظيم يتفوق على السابقين عليه من قادة الفتح الإسلامي في المشرق. وأثبتت الدراسة أن المهالبة أسهموا بفعالية في الحياة الثقافية بجرجان، فبرزوا رجالًا ونساءً في علمي الفقه والحديث، وبلغوا مكانة علمية رفيعة، ودوت شهرتهم في الآفاق، وأسهموا في تشكيل ثقافة تلاميذهم الذين أصبحوا من أبرز علماء جرجان والأمصار الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: جرجان. يزيد بن المهلب. عمان. إيران.

المقدمة:

اعتمدت الحكومات المركزية والمستقلة منذ قيام الدولة العربية الإسلامية في تدبير شؤون الحرب والسياسة والإدارة على النابهين من رجالات الأسر الشريفة. وكان آل المهلب العمانيون أسرة ذات رياسة ونباهة منذ فجر الإسلام، فقد كان لهم دور بارز في الفتوحات الإسلامية على الجبهة الشرقية في عهدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وشاركوا مثل غيرهم من العشائر والقبائل العمانية في فتوح فارس والسند منذ استقرارهم بالبصرة في خلافة عثمان بن عفان، وكانوا في حزب الخليفة علي بن أبي طالب بعد معركة الجمل ضد خصومه. وقد اشتهر المهالبة، كما يذكر العوتبي، بالتزام طاعة أولي الأمر[١]، فالتحقوا بخدمة الأمويين وصاروا من رجالاتهم، وارتفعت مكانتهم لديهم، فقد عهدوا إلى المهلب بن أبي صفرة مهاما عسكرية في خراسان والسند وبلاد ما وراء النهر، وأوكلوا إليه مهمة التصدي لخطر الخوارج الأزارقة والقضاء عليهم. وتقلد المهلب وأولاده أرقى المناصب الإدارية والعسكرية في عهدي الخليفتين عبد الملك بن مروان وولده سليمان، وواصلوا جهودهم في الفتوحات في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر. وهكذا برز منهم رجال ذاع صيتهم في الآفاق بما اتصفوا به من علم، وحزم وشجاعة، وكفاية إدارية، وجُود وكرم، وفي ذلك يذكر ابن خلكان: "وخلّف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء أجواد أمجاد"[٢]، وقد "أجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب"[٣].

ورغم النكبة التي حلّت بآل المهلب على أيدي الأمويين في موقعة العقر، وما أصابهم بعدها في قنادبيل (١٠٢هـ/ ٧٢٠م)، من قتل وأسر وتشريد، فقد نشأ منهم جيل جديد بعُمان والعراق وخراسان وجُرجان وغيرها، وفي عصر الدولة

١) العوتبى الصحاري، الأنساب، تحقيق: د. محمد إحسان النص، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٦٣٢ ص٦٤٧.

٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، م٥، ص٣٥٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٩١.

٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٢٨٣. وانظر أيضا: م٥، ص٣٥٣، م٦، ص٢٨٢، اليافعي اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق: عبد الله الجبورى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ج١، ص٢٤١.

العباسية ضربوا في كل فضيلة بسهم؛ فكان منهم القادة العسكريون، والوزراء والكتاب وولاة الأقاليم، وحَمَلة العلم ورواة الحديث، والأدباء والشعراء. ومع أنهم في الأصل عمانيون، غير أن نشأتهم وإقامتهم خارج عُمان جعلتهم لا يُعرفون هناك إلا بالنسبة إلى البلد الذي سكنوه وتناسلوا به، فقيل: المهالبة البصريون، والكوفيون، والبغداديون، والخراسانيون، والجرجانيون، والسمرقنديون، والمكيون، والمصريون، والأندلسيون وغير ذلك.

وقد كان لجُرجان - وهي حاليا مدينة إستراباذ من أعمال مازندران في جمهورية إيران الإسلامية - شأن عظيم في التاريخ العلمي الإسلامي؛ لشهرتها بكثرة النابغين من علمائها وشيوخها وفضلائها. وكان للمهالبة دور سياسي وثقافي مهم بها؛ فهم الذين فتحوها ومَصرّوها، ونشروا الإسلام بها. وكانت من ولاياتهم زمن الأمويين، وتقلد خالد بن يزيد ولايتها وقيادة جيوشها في عهدي المهدي وولده الهادي العباسيين. وقد استقر بعضهم هناك وتناسلوا بها، ومن أشهرهم: عقب مخلد بن يزيد بن المهلب، وأبناء عمه أبي عُيينة (عُيينة)[١]، (عزرة)[٢]، بن المهلب وأحفادهم، وأسباطهم، ومنهم: أسباط الفقيه المُحدّث عبد الرحمن بن عبد المؤمن أبناء ابنته، ومنهم: زوجة الفقيه حمدان بن محمد المُشْتُوتي الجرجاني[٣]، وكانوا من العلماء النابهين؛ لأنهم ينتسبون إليهم من جهة الأم، وقد ورد في الأثر أن ابن أخت القوم منهم[٤]، كما يرجع إليهم الفضل أيضًا في

١) اسمه أبو عُيينة كما ورد في معظم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، بينما ذكره السهمي الجرجاني (تاريخ جرجان، نشر تحت إشراف د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٤٤)، وابن الأثير (اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ج٣ ص٢٧٦) باسم عيينة بن المهلب.

٢) ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ج٦، ص١٢٥.

٣) المُشْتُوتي هكذا ضبطه كل من السهمي (تاريخ جرجان، الصفحات: ٤٢٨،٢٠٥،٩٩)، وابن حجر العسقلانى (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق علي محمد البجاوي، مراجعة محمد على النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٦٧م، ق٤، ص١٣٦٣)، ووقع عند السمعاني "المشتولى" (الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج٥، ص٣٠٢)، وعند ابن الأثير "المشتويى" (اللباب،ج٣، ص٢١٥)، وهي كما يذكر ابن حجر نسبة إلى مشتويه (تبصير المنتبه، ق٤، ص١٣٦٣).

٤) أخرج الإمام الدارمي عن أبي نعيم عن شعبة أنه قال: قلت لمعاوية بن قرة أكان أنس يذكر أن النبي ﷺ قال للنعمان بن مقرن: "ابن أخت القوم منهم"، قال: نعم (الدارمي، سنن الدارمي، حقق نصه وخرّج أحاديثه وفهرسه فواز أحمد زمرلى وخالد السبع العلمى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٧م، رقم ٢٤١٥).

تكوينهم العلمي المتين.

وقد برز من هؤلاء المهالبة علماء في الفقه، والحديث، ورواية الأخبار، وكان منهم أيضًا شعراء، وزهاد. ومع ذلك، لم يوجه الكُتاب المحدثون لدورهم هذا ما يستحقه من اهتمام، فلم يفردوا له بحثاً قائمًا بذاته، وكل ما كتب عنه لا يعدو نتفًا متفرقة عن فتح يزيد بن المهلب لجرجان، وبنائها في ثنايا الحديث عن الفتوحات الإسلامية[١]، بينما أغفلوا إسهاماتهم الثقافية الأخرى هناك، ولم يأتوا عليها، رغم معالجة بعض الباحثين في الآونة الأخيرة موضوعات عن الحياة الثقافية بخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة[٢]. مما دفعني لمعالجة هذا الموضوع في هذه الدراسة؛ مستهدفًا إبراز ملامح هذا الدور وأهميته، وتسليط الضوء على بعض مآثر آلِ المهلب ومناقبهم المنسية؛ بتوظيف بعض المصادر المنشورة والمُحققة التي لم توظف من قبل بالقدر الذي يتناسب وأهميتها، منها: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والمُعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي لأبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، وتاريخ جرجان للسهمي الجرجاني.

وقد حددت الفترة من ٩٧هـ/ ٧١٥م إلى ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م مجالا زمنيا للدراسة؛ لأن التاريخ الأول يمثل فتح جرجان ثم بناءها وتمصيرها على يد يزيد بن المهلب في العام التالي، وبداية دور المهالبة السياسي والثقافي بها. أما التاريخ الثاني فهو تاريخ وفاة أبي ذر جندب بن أحمد آخر من عثرنا عليه من مشاهير آل المهلب هناك، كما كانت تلك الفترة تمثل الحقبة الذهبية لإشعاع الحضارة الإسلامية، وتعدد مراكزها الثقافية شرقًا وغربًا، ومنها: جرجان. ومع ذلك فقد ظلت بصمات المهالبة باقية بجرجان، وآثارهم العلمية متداولة في الآفاق فترة طويلة من الزمن

---

١) نافع توفيق العبود، آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، الطبعة الأولى، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٩م، سيف بن حمود بن حامد البطّاشي، تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، سلطنة عمان، ١٩٨٨م، عبد المنعم سلطان، آل المهلب العُمانيون في المشرق الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، الطبعة الثانية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

٢) لم يشر د. إحسان ذنون الثامري في دراسته (الحياة العلمية زمن السامانيين التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١م) لدور المهالبة الثقافي، رغم تعرضه لعلماء جرجان في أثناء سيادة السامانيين على بلدهم، وإسهاماتهم في مختلف مجالات الحياة الثقافية، واعتماده في ذلك بصفة رئيسة على تاريخ جرجان للسهمي.

بفضل النابهين من تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم.

أولًا: نسب المُهَالّبة

هم بنو المُهَلّب بن أبي صُفرة العتكي. والمهلب كما يذكر ابن دُريد مفعّل من الهُلْب. والهُلْب الشّعر، والهُلْبة: الخصلة من الشعر[١]. وأبو صفرة هو ظالم (سالم وقيل غالب) بن سرّاق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد (الأسد) بن عمران الذي يرتفع نسبه إلى أزد عمان من عرب اليمن القحطانية[٢]، والعتيك رهط المهلب بن أبي صفرة كما جاء في الاشتقاق لابن دريد من قولهم: عتك عليه، إذا حمل إما بسيف أو غيره[٣]. وكانت الأزد وما والاها تسكن مأرب في نهاية القرن الأول الميلادي، ثم نزحت بعض قبائلها من اليمن لمّا أحست تقارب انتقاص العرم (وهي بلغة حمير اسم للمسناة)، وخشيت السيل[٤]، ثم هاجرت معظمها لما انكسر سد مأرب وتهدم بالفعل من جراء سيل العرم في منتصف القرن السادس الميلادي، وما ترتب على ذلك من فساد عمائر مأرب وكثير من البلاد، وأزمات اقتصادية حادة، واضطرابات سياسية شديدة،

---

١) ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٤٨٢.

٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: د. ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٦٦، ابن سلام، كتاب النسب، تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الحرع، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ص٢٩٣-٢٩٤، ابن قتيبة، المعارف، حققه وقدّم له ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٣٩٩، المبرد، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، قطر، ١٩٨٤م، ص٣٣، ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرحه وضبطه وعَنون موضوعاته أحمد أمين وآخرون، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢ ص٥١٩، المسعودي، التنبيه والأشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٩٣، أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ج٢٠، ص٧٥، السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٤، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، نشر عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٣٦٧، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٣ ص٦٢٤، ياقوت الحموي، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٣٧.

Hinds (Martin), An Early Islamic family from Oman: al-Awtabi,s Account of the Muhallabids, Journal of Semitic Studies Monographs no 17, Manchester, University of Manchester, 1991, p. 23, Crone (P.), AL-Muhallab B.Abi Sufra, and Muhallabids, The Encyclopedia of Islam, New Edition, Brill, Leiden-New York, 1993, VII, p.357.

٣) ابن دريد، الاشتقاق، ص٤٨٢، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٢.

٤) حمزة الأصفهاني، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص٨٩.

وافترقت على نحو سبع وعشرين قبيلة[١]، وتوزعت هي وغيرها من القبائل والبطون اليمنية التي اعتمدت في حياتها على السد كما يذكر معظم المؤرخين والنسابة في أنحاء شبه الجزيرة العربية وفي أطرافها، وفي العراق والشام، فأتت طائفة منهم الحجاز، وطائفة عمان، وطائفة السراة، وطائفة الأنبار والحيرة، وطائفة الشام، وقد أضيفت كل طائفة منها إلى المنطقة التي أقامت بها واستوطنتها؛ لتتميز عن غيرها، فقيل أزد دبا، وأزد شنوءة، وأزد عمان، ومرجع الجميع إلى الأزد اليمنية[٢].

وكان مالك بن فهم الأزدي، كما يذكر الكلبي، أول من نزل عمان من الأزد وأول من لحق بها منهم فيمن تبعه من ولده وقومه الأزد وغيرهم من أحياء قضاعة[٣]، وقام بتحريرها من الفرس وأصبح ملكًا عليها[٤]. وأخذت قبائل أخرى من الأزد تتوافد على عمان، فكان عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء أول من لحق منهم بمالك بن فهم وإخوانهم الأزد، لما علم بطيب عمان وخصبها، وعمران هو جد العتيك، وقد خرج معه ابناه الحجر والأسد (الأسود)، وتفرعت من الحجر والأسد قبائل كثيرة بعمان[٥]. ونستدل من الروايات أن عمران بن عمرو عند نزوله بعمان استقر بالشاطىء الشرقي منها، ومنها انتقل بعض عقبه إلى مناطق أخرى[٦]. وكانت دبا من مساكن العتيك، فابن قتيبة يذكر أن العتيك

---

١) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، القاهرة، ١٩١٢م، ص٦١. وذكر بعض النسابين أنهم افترقوا على نيّف وعشرين قبيلة (ابن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك. و. سترستين، دار الآفاق الجديدة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٥٩).

٢) حمزة الأصفهاني، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ص٨٩، صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٦١ ص٦٢.

٣) العوتبي، الأنساب، ج٢، الصفحات: ٧١٠، ٧١٥، ٧١٧، نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، مسقط،١٩٩٧م، م١،ج١، ص١٩.

٤) عن التفاصيل، راجع: العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٧١١ ص٧٢٥، مجهول، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق ودراسة وتعليق: أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، نيقوسيا، قبرص، ١٩٨٥م، ص٢١١ ص٢١٩، الإزكوي العماني، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، حققه: عبد المجيد حسيب القيسي، الطبعة الرابعة، وزارة التراث والثقافة العمانية، مسقط، ٢٠٠٥م، ص١٧، مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق وشرح: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٦ ص٢٤، السالمي، تحفة الأعيان، م١، ج١، ص١٩ ص٢٠.

٥) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٦١ ص٦٢. وانظر أيضا: العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٧١١، مجهول، كشف الغمة، ص٢١٩، الأزكوي العماني، تاريخ عمان، ص٢٤، مجهول، تاريخ أهل عمان، ص٢٤، السالمي، تحفة الأعيان، م١، ج١، ص٢٩.

٦) العوتبي، الأنساب، ح٢، ص٧١١.

هم أزد دبا[١]. وتجدر الإشارة إلى أن الأزد ظلوا ينتقلون إلى عُمان حتى كثروا بها وقويت أيديهم واشتدت شوكتهم، وتظاهر بعضهم إلى بعض، وقد وصفت عُمان بأنها ديار الأزد[٢]، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم؛ "لأن منازلهم كانت على وادٍ لهم بمأرب يقال له عُمان، فسموها به"[٣]. كما نزلت عُمان قبائل أخرى من غير الأزد، ومنهم سامة بن لؤي بن غالب وينسبه النسابون إلى قريش، وقد نزل بتوام (البريمي) في جوار الأزد، وزوّج ابنته هند بالأسد بن عمران بن عمرو بن عامر، فولدت له العتيك بن الأسد[٤].

وقد اهتم الكُتاب القدامى من المهالبة وأنصارهم ومواليهم بنسبهم ومناكحهم وتاريخهم، فخصصوا لذلك بعض مصنفاتهم؛ فقد ألف خالد بن خداش بن عجلان المهلبي مولاهم (ت٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)، وكان مؤرخًا ومحدثًا ثقة، كتابين عن تاريخهم، والخدمات الجليلة التي أدوها للدولة الأموية، وتصديهم للخوارج الأزارقة، الكتاب الأول بعنوان: "أخبار آل المهلب"، والثاني بعنوان: "الأزارقة وحروب المهلب" [٥]، وأفرد أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م) صاحب ذي الوزارتين الحسن محمد بن هارون المهلبي (وزير معز الدولة بن بويه في عهد الخليفة المطيع العباسي)، كتابًا عن نسبهم بعنوان: "نسب آل المهلب"[٦]، وكان

١) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٩٩، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٩م، ص٦٢. ودبا ميناء على خليج عمان، وكانت إحدى فرضتي العرب المشهورة قبل الإسلام، وكان يأتيها تجار السند والهند والصين، وأهل المشرق والمغرب، وكان الجلندى بن المستكبر حاكم عمان يعشرهم. وكانت قصبة عمان قديمًا، غير أنها ضعفت بعد الإسلام وطغت عليها صحار في الأهمية الإدارية والتجارية (المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهرسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٧٤ ص٨٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، م٢، ص٤٣٥ ص٤٣٦).

٢) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٠٣ ص٢٠٤، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٧١١، مجهول، كشف الغمة، ص٢٢٠، مجهول، تاريخ أهل عمان، ص٢٥. السالمي، تحفة الأعيان، ص٢٩.

٣) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٧٠٨، مجهول، كشف الغمة، ص٢٢٠.

٤) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢١، مجهول، كشف الغمة، ص٢٢٠ ص٢٢١، الأزكوي العماني، تاريخ عمان، ص٢٥، مجهول، تاريخ أهل عمان، ص٢٥، السالمي، تحفة الأعيان، م١، ج١، ص٢٩ ص٣٠، البطّاشي، تاريخ المهلب، ص١٤-١٥.

٥) ابن النديم، الفهرست، حققه وقدّم له مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م، ص٤٨٤.

٦) ابن النديم، الفهرست، ص٥٠٧ ص٥٠٨. وذكره آخرون بعنوان "نسب المهالبة"، وهو من الكتب التي بعث بها الأصفهاني إلى الخليفة الحكم المستنصر حاكم الأندلس (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ، ج١١، ص٣٩٨، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١٣، ص١٠٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص٣٠٨).

للمغيرة بن محمد المهلبي كتاب بعنوان: "مناكح آل المهلب"، وصنف يزيد بن محمد المهلبي الشاعر كتابًا بعنوان: "كتاب المهلب وأخبار ولده"[١]، كذلك خصهم النسّابة الثقة محمد بن عبد الرحمن العبدي (توفي قبل سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م)، بكتابين هما: "مناكح آل المهلب"، و"نسب ولد أبي صفرة المهلب وولده"[٢]. ولكن للأسف هذه الكتب مفقودة لم تصل إلينا، ولم نطلع على شيء منها. غير أن المؤرخين والنسّابة، وأصحاب كتب الحديث، والتراجم والسير واللغة والأدب قد ذكروا أخبارًا متفرقة عن نسب آل المهلب وتاريخهم ونشاطهم السياسي والحربي، ومآثرهم في الإقدام والجود والكرم، والعلم والأدب في ثنايا مصنفاتهم.

وجدير بالذكر أن بعض النسابة وكُتاب المثالب ومنهم: زياد الأعجم صاحب كتاب المثالب الذي ألصق بالعرب كلها كل عيب وعار، وحق وباطل، والهيثم بن عدي، وكان دَعيّا، فأراد أن يُعِرّ أهل البيوتات تشفّيًا منهم، وأبو عبيدة مَعْمر بن المثنى وكان أصله يهوديًا، وابن مزروع، زعموا أن أصل المهالبة من عجم عُمان وأنهم تولوا الأزد، فلما سار المهلب وشرُف وعلا ذكره استلحقوه[٣]. ومما لا شك فيه أن هذا الرأي زعم وافتراء وتشهير متعمد من قبل كُتاب المثالب الشعوبيين والشعراء الذين هجوهم به، فأكثروا حسدًا لهم وتشفيًا منهم، خاصة بعد أن غضب زياد الأعجم على المهلب بن أبي صفرة[٤]، وتمرد يزيد بن المهلب وإخوته على الخليفة يزيد بن عبد الملك وثورتهم عليه. وقد فطن بعض الكتاب، ومنهم: أبو الفرج الأصفهاني، إلى ذلك ورد عليهم، وفنّد ادعاءاتهم ووصفها بأنها ليست من الأقوال المعوّل عليها[٥].

---

١) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج١٣، ص٣٤٤، ابن النديم، الفهرست، ص٤٨٧ ص٤٨٥.

٢) ابن النديم، الفهرست، ص٤٧٠.

٣) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٠٥، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٧٥ ص٧٦، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٣٢٨هـ، ج٤، ص١٠٨، Crone, AL-Muhallab B.Abi Sufra, p.357

٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٧٦ ص٧٧.

٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٧٥ ص٧٧. ومن دعاوى هؤلاء الشعوبيين زعمهم أن ابن الجلندى ملك عمان وفد في أزد عمان ومواليهم وأحلافهم وفيهم أبو صفرة على عمر بن الخطاب، فالتفت عمر إلى أبي صفرة، فقال له: أعربي أنت؟ قال: لا، أنا ممن مَنّ الله عليه بالإسلام، ومن مزاعمهم أيضا: أن عثمان بن أبي العاص أمر بختان أبي صفرة وكان شيخا أشمط، وأمر بزوجته فخفضت (أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٧٦ ص٧٧). كما ادعوا أن أبا صفرة كان نساجًا فارسيًا من جزيرة خارك من أعمال فارس يقال له بسخره بن بهبوذان، فقطع إلى عمان، ثم قدم

ثانيًا: دور المهالبة في خدمة الدولة العربية حتى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م

٢/ ١ دورهم في عصر الخلفاء الراشدين:

كان أبو صفرة جد المهالبة شريفًا في قومه بني عمران، مقدّمًا فيهم، فلما أسلم[١]، زاد شرفه وقدّموه عليهم[٢]. وتذكر الروايات أنه شارك في الفتوحات الإسلامية على الجبهة الفارسية في دولتي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان؛ فغزا وقومه في ثلاثة آلاف أكثرهم من أزد عُمان مع عثمان بن أبي العاص شهرك بفارس في سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، فهزموه، وقتل أبو صفرة شهرك بنفسه[٣]، واستقر هو وقومه من الأزد بعد هذه المعركة في تَوّج من أرض فارس، فظل بها حتى خلافة عثمان بن عفان، ثم غزا مع عبد الرحمن بن سمرة القرشي إلى خراسان، فمكث بها زمنًا[٤]، وعند عودته من خراسان التحق بالخليفة علي بن أبي طالب بعد موقعة

البصرة فكان بها سائسًا لعثمان بن أبي العاص الثقفي، فلما هاجرت الأزد إلى البصرة كان معهم في الحروب، فوجدوه نجدًا في الحروب فاستلحقوه، فادعى النسب إليهم (ابن رسته نقلا عن أبي عبيدة، الأعلاق النفيسة، ص٢٠٥ ص٢٠٦، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص٣٣٧، العبود، آل المهلب بن أبي صفرة، ص٢١ ص٢٢)، وأنكر الفرزدق كذلك نسبتهم إلى العرب، وعَيرّهم بأنهم لم يتحلوا بصفات عرب الجاهلية (الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشرحه وأكملها إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ج١ ص٣٥٠-٣٥٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢ ص٣٣٧). كما نبذهم خصومهم بألقاب تدل على عجمتهم منها: المزوني يقصد به يزيد بن المهلب (نسبة إلى مزون اسم عمان بالفارسية، وعلوج عمان هم المزون كما يذكر ابن الفقيه (ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٨، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٩)، والكابولي يعنى يزيد بن المهلب، وكانت أمه من سبي كابل، فلذلك نسبه لكابل وهي من ثغور خراسان (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٥م، ص٤٨٩).

١) اختلفت المصادر حول إسلام أبي صفرة ولقائه بالنبي، ﷺ، لمزيد من التفاصيل، راجع: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٩٩، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص ٧٦، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ق٤، رقم ٣٠٤٦، ص١٦٩٢ ص١٦٩٣، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، م٦، رقم ٦٠١٤، ص١٧٤، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، رقم ٦٥٢، ص١٠٨، وانظر أيضا: البطّاشي، تاريخ المهلب، ص١٧ ص٢٢، سيف بن حمود البطّاشي، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الطبعة الثانية، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م، ج١، ص٣٢ ص٣٣.

٢) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٥.

٣) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٥ ص٦٢٨، السالمي، تحفة الأعيان، م١، ج١، ٦٥ ص٦٦.

AL-Alawi (Badar Hilal Khalifa), Oman and the Islamic Caliphate(11-447/632-1055) The Military Struggle, Thesis PHD, Faculty of Arts, University of Manchester,2003,pp.80-81.

٤) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٧٩٩، البطّاشي، تاريخ المهلب، ص٢٢ ص٢٥. وكان عثمان بن أبي العاص قد فتحها، وبنى بها المساجد وجعلها قاعدة للمسلمين، للإغارة على المناطق الفارسية المتاخمة لها (البلاذري، فتوح، ص٥٤٤)، فلما استعمل الخليفة عثمان بن عفان عبد الله بن عامر على البصرة " ضمهم إليه، فقدم بهم من توّج " (العوتبي، الأنساب، ج٢ ص٦٢٩)، ليعتمد عليهم في حروبه.

الجمل، فولاه رئاسة الأزد في العراق، وقلده على نهر تيرى ومناذر الكبرى[١]. وكان ابنه المهلب بن أبي صفرة صاحب لواء الأمان الذى عقده الخليفة علي بن أبي طالب للجند الفارين بعد موقعة الجمل ليرجعوا إلى بلادهم، فرجع معظمهم إلى البصرة، و"تيمن الناس بلواء المهلب"[٢]. وبعد وفاة أبي صفرة بالبصرة في ولاية عبد الله بن عباس للخليفة علي بن أبي طالب، آلت رئاسة قومه إلى المهلب أصغر أولاده (ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتين)[٣].

٢/٢ دورهم في عصر الدولة الأموية حتى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م:

كان المهلب بن أبي صفرة فارسًا محنكًا مقدامًا من أشجع الناس وأدهاهم، برز في مجال الحرب والقتال، وكان أيضًا سيدًا جليلًا نبيلًا، وحكيمًا بليغًا، كما كان ميمون النقيبة، حسن السياسة[٤]. وقد تحلى المهلب بن أبي صفرة بصفات وفضائل كثيرة، كالكرم والجود والإيثار والحلم، والصدق والأمانة والوفاء. وهو إلى جانب ذلك من التابعين، ومن رجال الحديث الثقات، وله رواية عن النبي ﷺ مرسلة، "وكان أجمع الناس للخصال المحمودة للرجال"[٥]. وقد خرج المهلب بن أبي صفرة غازيًا في جيش عبد الرحمن بن سمرة القرشي لفتح سجستان في سنة ٤٢هـ/٦٦٢م، فأبلى في المعارك بلاءً حسنًا، وفتح معه زرنج[٦]. وتذكر الروايات أنه

---

١) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٩، سيف بن حمود البطّاشي، إتحاف الأعيان، ج١، ص٣٣. Hinds, ibid, p.24, Crone. op.cit, p.357.

٢) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٩ ص٦٣٠، العبود، آل المهلب بن أبي صفرة، ص٤٩، Crone, ibid, p.35.

٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٥ ص٣٥١. ويذكر العوتبي (الأنساب، ج٢، ص٦٤٣) أنه ولد في العام الذي مات فيه رسول الله ﷺ (١١ هـ).

٤) الجاحظ، البيان والتبيين، قدم لها وبوبها وشرحها: د. على أبو ملحم، الطبعة الثانية، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٢م، م٣، ص٤١، المبرد، الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، م٣، الصفحات: ٣١٤، ٤٠٣، ٤٠٩، الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٦، ص١٧١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص١١٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م، م٤، ص١٩٥ ص١٩٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٥، ص٣٥١.

٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٤، ص١٦٩٢، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، ص١٠٩، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٣٢ ص٦٤٤.

٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز وزميلته، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٢٥، البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٥٨، مجهول، تاريخ سجستان، ترجمة: محمود عبد الكريم على، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٧٥ ص٧٨. Hinds, ibid.., p. 26, Crone, ibid., p.357.

تقلد ولاية ثغر الهند (مكران، والسند) في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، فقام بغزوات مظفرة في نواحي السند. وكان يقود جيشًا معظمه من قبائل الأزد في هذه المعارك، وتمكن به من الوصول إلى القيقان، وقندابيل، ثم اتجه شمالًا ليفتح بته "بنّه"، ولاهور، وهما بين الملتان وكابل، واستطاع دحر الأعداء والقضاء عليهم[١]. وشارك المهلب بن أبي صفرة أيضًا مع الحكم بن عمرو الغفاري في فتوحات خراسان سنة ٤٧هـ/٦٦٧م، فأظهر بأسًا ومهارة في قتال العدو[٢]. كما شارك في فتح سمرقند، مع سعيد بن عثمان بن عفان في سنة ٥٦هـ/٦٧٥م، وفقئت عينه خلال هذه المعارك[٣]. وفي سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م، اشترك مع سلم بن زياد، والي خراسان وسجستان، في غزو بلاد ما وراء النهر، وتمكن المهلب من إلحاق الهزيمة بجيش الترك، وقتل ملك الصغد في المعركة، وحاصر بخارى، فصالحه أهلها على أموال كثيرة، فأعجب به سلم بن زياد، وقلده أمر خراسان عقب وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، ولكن المهلب تخلى عن منصبه وانسحب من خراسان وعاد إلى البصرة[٤].

وقد اشتهر المهلب بن أبي صفرة بحروبه المظفرة ضد الخوارج الأزارقة، فكان له معهم وقائع مشهورة بفارس والأهواز، واستطاع حماية البصرة من خطرهم زمن ثورة عبد الله بن الزبير، وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق في

١) خليفة بن خياط، تاريخ، ص١٢٦، البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٠٨، ابن الأثير، الكامل، م٣، ص٤٤٦، مجهول، تاريخ سجستان، ص٧٥ ص٧٨، أطهر المباركبوري، العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٨٩، أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص٥٣، AL-Humaidi, Makran and Baluchistan from Early Islamic Conquest down to Noisavne the Mongo, PH.D.Thesis, Victoria University of Manchester, Department of Middle Eastern Studies, Faculty of Arts, June, 1988, p.250, Crone, ibid., p.357.

٢) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٣١ ص٦٣٢.. Hinds, ibid., p.25, Crone, ibid., p.357.

٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ص١٣٨، البلاذري، فتوح، ص٥٧٨.

٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت، بدون تاريخ، م٢ ص٢٥٢، النرشخي، تاريخ بخارى، عرّبه عن الفارسية وقدّم له وحققه: د. أمين عبد المجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٧٠ ص٧١.

عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[١]؛ ولذلك سميت بصرة المهلب[٢]. وقد كافأه الحجاج بن يوسف الثقفي على جهوده وبلائه في القضاء على الأزارقة، فأسند إليه ولاية خراسان سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م، فمكث المهلب في البصرة للراحة، وبعث ابنه حبيبًا نائبا عنه إلى خراسان، فأقام بها عشرة أشهر حتى لحق به في سنة ٧٩هـ/ ٦٩٨م. واستبشر أهل خراسان بولاية المهلب عليهم، وفرحوا فرحًا شديدًا[٣]، وفي سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م، أناب المهلب ابنه المغيرة على خراسان[٤]، وتحرك منها لفتح بلاد ما وراء النهر، فقطع نهر بلخ ونزل على كِسّ[٥]، واستولى عليها، واتخذها قاعدة له لانطلاق قواته للاستيلاء على المناطق المجاورة. ثم وجه ولده يزيد (وكان قد ولاه كرمان من قبل)[٦]؛ لفتح إقليم الختل ببلاد ما وراء النهر، فاستولى عليه صلحًا. كما أرسل ابنه الآخر حبيبًا على رأس جيش كبير إلى بخارى، فأوقع بأهلها وأخضعهم، ثم عاد إلى أبيه في قاعدته كِس[٧]. وعندما شعر المهلب بدنو أجله جمع أولاده وأوصاهم، واستخلف عليهم يزيد وكان في الثلاثين من عمره، وأمرهم بطاعته وعدم مخالفته. وعند موت المهلب بمرو في ذي الحجة سنة ٨٢ هـ/ ٧٠٢ م، كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بوفاته واستخلافه إياه، فأقره بموافقة الخليفة

---

١) المبرد، الكامل، م٢، ص١٥٢، م٣، ص٣١٠ ص٣٣٣، الطبرى، تاريخ الطبري، ج٦، الصفحات: ١٦٨،١٢٧،١١٩- ١٩٥،١٧٣-١٩٩،٢١١،٣٠٠-٢١٥-٣٠٨، ابن أعثم، كتاب الفتوح، بيروت، ١٩٨٦م، م٣، ص٢٠٢ وما بعدها، م٤، ص١٣ وما بعدها، ابن دريد، الاشتقاق، ص٢٢٩ ص٥٠٦ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، الصفحات: ٩٩،١١٥،١٩٠،٣٢١، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٣٣ ص٦٤٣، ابن الأثير، الكامل، م٤، ص٣٦٥ ص٣٦٧، ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦م، العبر، م٣ الصفحات: ٧٢،٧٦،٨٠،٩٠،٩١، عبد المنعم سلطان، آل المهلب العمانيون، ص٣١ ص٧٩، Hawting (Gerald),The first dynasty of Islam,Croom, Helm,London-Sydney,1986, pp.66,73, Hinds, ibid, p.26, Crone, ibid, p.357.

٢) المبرد، الكامل، م٣ ص٣٣٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٤ ص١٦٩٢، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٣٨ ص٦٤٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٥، ص٣٥١، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٩١، السالمي، تحفة الأعيان، م١، ج١، ص١٨.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦ ص٣٢٠-٣٢١، ابن أعثم، الفتوح، م٤ ص٥٨، ابن الأثير، الكامل، م٤، ص٤٤٨.

٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٥، ص٣٥٤، م٦، ص٢٨٧.

٥) كسّ كما ينطقها أهلها، وهى مدينة تقارب سمرقند، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص٤٦٠، وقيل "كَش" بالشين المعجمة اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٥٩، القزويني، آثار البلاد، ص٥٣٦ ص٥٥٤، كي لسترنج، بلدان الخلافة المشرقية، ترجمة كوركيس عواد وزميله، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٠٣)، وهو خطأ، ياقوت، نفسه، م٤، ص٤٦٠.

٦) المبرد، الكامل، ج٢، ص٤٠٥، ابن الأثير، الكامل، م٤، ص٤٥٣، Frye (R. N.), The Golden Age of Persia The Arabs in the East, Weidenfeld and Nicolson, Landon, 1975, p.78

٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦ ص٣٢٥-٣٢٦، ابن الأثير، الكامل، م٤ ص٤٥٤، ص٤٥٧.

عبد الملك بن مروان على خراسان[١].

وواصل يزيد بن المهلب مسيرة والده المظفرة في الفتوحات، فزحف بقواته نحو قلعة نيزك الحصينة بباذغيس في سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م، فحاصرها حصارًا شديدًا، فصالحه نيزك على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن، ويرتحل عنها بعياله، وكتب يزيد بالفتح إلى الحجاج[٢]. كما غزا خوارزم أيضًا فصالحه أهلها، ثم رجع إلى خراسان[٣]. ومع ذلك، فقد سعى الحجاج عند الخليفة عبد الملك بن مروان في عزله عن خراسان لحسده آل المهلب، وتخوفه من يزيد "لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه لا يترتب مكانه، فكان يقصده بالمكروه في كل وقت كي لا يثب عليه"[٤]. وقد نجح الحجاج في عزل يزيد بن المهلب عن ولاية خراسان، وقلدها أخاه المفضل بن المهلب في ربيع الآخر سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م، فوليها تسعة أشهر، فغزا باذغيس مرة أخرى ففتحها وأصاب مغنمًا، ثم غزا أَخْرون وشومان، فظفر وغنم، ثم عزله الحجاج سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، وقلدها قتيبة بن مسلم الباهلي[٥].

ولما وصل يزيد بن المهلب العراق قبض عليه الحجاج وسجنه، وأخذ من بني المهلب أيضًا مدركًا وزيادًا وأبا عيينة، فحبسهم لانتظار عزل المفضل، فلما عزله قبض عليه وسجنه معهم، كما نكب بقية إخوتهم؛ فعزل عبد الملك عن شرطته وسجنه معهم، وأخذهم بسوء العذاب، وعزل حبيب عن كرمان وسجنه بالبصرة

---

١) خليفة بن خياط، تاريخ، ص١٨٧، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٥٤ ص٣٥٥، ابن أعثم، الفتوح، م٤، الصفحات: ٨٨، ٨٩، ١٤٥، ابن الأثير، الكامل، م٤، ص٤٧٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٢٨٨. ويذكر ابن خلكان، وفيات، م٥، ص٣٥٣، أنه مات في ذي الحجة سنة ٨٣هـ، Frye (R. N.), ibid. p.79, Crone (P.), Muhllabids, The Encyclopaedia of Islam, New Edition,Brill,Leiden-New York, 1993,V.VII, P.359.

٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٨٦ ص٣٨٧. وباذغيس ناحية من أعمال هراة، وكانت دار مملكة الهياطلة، وأصلها بالفارسية باذخيز، وهي تشتمل على قرى كثيرة ذات خير ورخص. ياقوت الحموي، معجم البلدان، م١، ص٣١٨.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٩٦.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٩٦ ص٣٩٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، الصفحات: ٢٧٨، ٢٨٨-٢٨٩، ولمزيد من التفاصيل، انظر: إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، نكبات المهالبة ومصير نسائهم في عصر الدولة الأموية (٨٦-١٠٢هـ/ ٧٠٥- ٧٢٠م) كما صوّرها العوتبي الصحاري في كتابه الأنساب، أعمال ندوة العوتبي الصحاري الدولية، منشورات جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٩م، م٢، ص٤٨٠ ص٤٨٥.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٩٥ ص٣٩٧، ابن الأثير، الكامل، م٤ ص٥٠٢ ص٥٠٥، Bosworth, ibid, p.64,Frye,ibid., p.79, Crone, ibid., p.359.

وشومان بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون، وهو من الثغور الإسلامية، وفي أهله قوة وامتناع عن السلطان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٣، ص٣٧٣ ص٣٧٤.

وعذبه أيضًا، وأغرم الجميع ستة ملايين درهم[١]. ومكث يزيد بن المهلب وإخوته في سجن الحجاج حتى سنة ٩٠ هـ/٧٠٨م؛ إذ تمكنوا من الهرب في غفلة من حرسهم[٢]، ولحقوا بسليمان ابن عبد الملك ولي العهد مستجيرين به من الحجاج، فآمنهم وكتب إلى أخيه الخليفة الوليد كتابًا يطلب لهم الأمان[٣]، وتعهد برد الأموال عن يزيد، فأمنهم الخليفة الوليد وكتب إلى الحجاج عدم التعرض لهم، والتحريض عليهم[٤]، فلما رأى ذلك الحجاج كفّ عن أبي عُيينة وحبيب، وأسقط عنهم الأموال التي كان أغرمهما إياها. وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان مكرمًا، وكان كما يذكر الطبري من أحسن الناس عنده منزلة، ولم يتمكن الوشاة من إفساد هذه العلاقة القوية، وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وتولى سليمان الخلافة سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م[٥].

ثالثًا: دور المهالبة السياسي بجرجان

١/٣ اسم جرجان وموقعها الجغرافي وبداية اتصال المسلمين بها

جرجان مدينة مشهورة، لعبت دورًا مهمًا في عصر الساسانيين[٦]، وهي إحدى كور إقليم الديلم الخمس[٧]، وتقع في أقصى شمال بلاد فارس جنوبي شرقي

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٢٦، ص٤٤٨، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٤٨، ابن الأثير، الكامل، م٤، ص٥٤٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، الصفحات: ٢٧٨-٢٩١، ٢٧٩، اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٢٤٢ ص٢٤٣، Hawting, The first dynasty of Islam, p.74. وقارن: العوتبي، الأنساب، ج٢ ص٦٤٤، ص٦٤٦.

٢) ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص١٥٤ ص١٥٧، العبود، آل المهلب بن أبي صفرة، ص٩٣، Zettersteen (K.V.).Yazid B.Al-Muhallab B.Abi Sufra. First Encyclopedia of Islam. New Edition.Brill.Leiden-New York. 1993. p.1163.

٣) ابن أعثم، كتاب الفتوح، م٤، ص١٥٧ ص١٥٨، Corne. ibid.. p.359.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٥١ ص٤٥٢، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص١٥٨، ابن الأثير، الكامل، م٤، ص٥٤٦ ص٥٤٧.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٥٢، ص٤٥٣، البطّاشي، تاريخ المهلب، ص٨٨ ص٨٩، Hawting (G.), ibid, pp.74-75.

٦) أرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، الصفحات: ٧٣، ١٢٦، ٢٠٩، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٠٦، Frye (R. N.), ibid, p.14, Hartmann (R.)-Boyle (J.A.), Gurgan, The Encyclopedia of Islam, New Edition, Bril, Leiden, 1983, p.1141, Morgan (D.), Medieval Persia 1040-1797, Langman, London and New York, 1988, p. 11.

٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص٢٧١، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١٧، Bosworth (C. Edmund), Sistan under the Arabs from the Islamic conquest to the Rise of the Saffarids (30-250/651-864), Rome, 1968, p.28.

بحر قزوين، ويحدها من الجنوب إقليم خراسان، وشرقًا إقليم خوارزم، وغربًا بحر قزوين وإقليم طبرستان. اعتبرها بعض الجغرافيين المسلمين تابعة لإقليم خراسان، في حين ذكرها بعضهم الآخر من أعمال طبرستان بسبب وقوعها بينهما[١]. وكانت جرجان وطبرستان عند فتحهما من عمل خراسان[٢]. وسُميت جُرجان بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها جُرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وفي رواية أخرى نسبة إلى جرجيج بن ولاد[٣]. وكان العجم من الفرس يستوطنون جُرجان، وكان يحكمهم ملك يلقب بالمرزبان، ولم تكن جُرجان مدينة ممصرة يومئذ، إنما كانت منطقة تحيط بها الجبال، ويغلب على أعمالها الجبال والقلاع، وقد حصّنها أهلها بحائط من آجر لا يرام، لصد هجمات المغيرين عليها والطامعين فيها، خاصة جيرانهم الترك سكان خوارزم "وهو حائط طويل أحد طرفيه داخل في البحر أربعة فراسخ، والطرف الآخر حيال جبال خراسان، وعلى كل فرسخ حصن"[٤]. ويتضح من الروايات أن أتراك خوارزم حاولوا مرارًا الاستيلاء على جرجان، وكانت حصانة أسوارها تمنعهم من الوصول إليها[٥]. ويبدو أن الأتراك لجأوا إلى الحيلة للاستيلاء على جرجان حتى ظفروا بها وتغلبوا على أهلها، وكان يحكمهم ملك اسمه صول. وأذاق الترك أهل خراسان شراً، كما استولوا على دهستان والبحيرة[٦].

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب تطلع المسلمون إلى فتح جرجان بعدما فتحوا الري وقومس؛ ففي عام ١٨هـ/٦٣٩م، زحف المسلمون بقيادة سويد بن مقرن على رأس قواته نحو جرجان وعسكر ببسطام، فكاتبه رزبان صول ملك جرجان وبادره بالصلح على الجزية ويكفيه حرب جرجان، وأن يُعينه سويد إن غُلب، فقبل سويد

١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص١١٩.

٢) الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر دوزى ودي غويه، ليدن، ١٨٩٤م، ص٢٠٨.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٤-٥٢، البكري، معجم ما استعجم، حققه وضبطه مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، م١، ج٢، ص٣٧٥.

٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩ ص٤٧٠، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٢، الحميري، الروض المعطار، ص١٦٠، Hartmann (R.)- Boyle (J.A.), Gurgan,p.1141.

٥) ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٢، الحميري، الروض المعطار، ص١٦٠، ص١٦١.

٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩، ص٤٧٠، الحميري، الروض المعطار، ص١٦٠.

ذلك وكتب بينه وبينهم عهدًا آمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وملكهم وشرائعهم، واستقبله رزبان صول قبل دخوله جرجان، فدخل معه وعسكر بها حتى جبى الخراج، وسمى ثغورها، فسَدّهَا بعناصر تركية، ورفع الجزية عمن قام بمنعتها وأخذ الخراج من الباقين[١]. ثم غزاها سعيد بن العاص والي الكوفة في خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٩هـ /٦٤٠م، وقيل ٣٠هـ /٦٥٠م، فاستقبله أهلها بالصلح وأطاعوه وهابوه، وصالح ملكهم على مائتي ألف درهم، ويقال على ثلاثمائة ألف درهم، فكان يؤديها إلى غزاة المسلمين[٢].

وجدير بالذكر أن الفتح الإسلامي لجرجان لم يكن مستقرًا؛ فكان أهلها يؤدون الجزية تارة، ويمنعونها تارة أخرى، ثم انغلقت وارتد أهلها عن الإسلام، فامتنعوا عن دفع الخراج[٣]. ولم يكتفوا بذلك بل قطعوا الطريق المؤدية إلى بلاد ما وراء النهر، وهاجموا المسلمين، كما أفسدوا طريق خراسان فلم يسلكه أحد من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهلها[٤]. ورغم جهود قتيبة بن مسلم العسكرية وفتوحاته الكثيرة في بلاد ما وراء النهر، وتأمينه الطريق من قومس حين ولى خراسان، إلا أنه لم يضع حدًا لتجاوزات الجرجانيين وعبثهم؛ فكان ذلك سبب غزو يزيد بن المهلب لجرجان وطبرستان واهتمامه بهما؛ عندما قلده الخليفة سليمان بن عبد الملك أمر خراسان. وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك، كما يذكر الطبري، معجبًا بفتوحات قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر، وكان كلما فتح قتيبة فتحًا يتباهى به ويُحدّث يزيد بن المهلب عنه، كان يزيد بن المهلب يُقلل من شأن هذه الفتوحات ويقول للخليفة سليمان: "ما فعلت جرجان، حالت بين الناس والطريق الأعظم، وأفسدت قومس وأبرشهر"، ويقول أيضًا: "هذه الفتوح ليست بشيء، الشأن في جرجان"[٥]. فلما ولاه الخليفة سليمان بن عبد الملك خراسان

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص١٥٢، السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٦- ص٤٨، ابن الأثير، الكامل، م٣، ص٢٥.

٢) Donner (F.), The Early Islamic Conquests, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1981, p.438,Hartmann (R.)- Boyle (J.A.), Gurgan, p.1141.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٢٥، ص٥٢٦.

٤) الطبرى، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٥، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٢، الحميرى، نفسه، ص١٦١.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٩٣٥، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٣١٢، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٩٢، ابن خلدون، العبر، م٣، ص١٥٦.

لم يكن له هَمٌّ غير جرجان؛ فعندما وصل إلى قومس وجد رائحة منتة، فاستفسر عنها، فعلم أنها رائحة قتلى المسلمين الذين قتلهم صول التركي عند إغارته على هذه الناحية، فقال: "قبح الله قتيبة، ترك هؤلاء وهم في بيضة العرب وأراد غزو الصين"[١].

٢/٣ يزيد بن المهلب والفتح الأول لجرجان ٩٧هـ/ ٧١٥م:

يذكر البلاذري أن يزيد بن المهلب استأذن الخليفة سليمان بن عبد الملك، وكان قد ولاّه خراسان ولاية عامة في غزو جرجان فأذن له. فبعث يزيد ابنه مخلدًا على خراسان ليمهد له الأمر قبل وصوله، فلما قدم يزيد بن المهلب خراسان أقام بها أشهر الشتاء يجهز لغزو جرجان، ثم زحف نحوها في ثلاثين ألفًا من أهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالي والمطوعة، فاعترضه صول التركي صاحب دهستان والبحيرة (وهي جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم)[٢]. فابتدأ بقهستان فحاصرها وأقام عليها وكان أهلها من الترك، فكانوا يخرجون للقتال فيهزمهم المسلمون، فيرتدون إلى داخل حصنهم، ثم يعاودون الكرة مرات فيقاتلهم المسلمون ويشتدون عليهم. وقد احتفظت المصادر بأخبار مهمة عن شجاعة بعض فرسان المسلمين وبسالتهم في القتال ضد أتراك قهستان؛ نذكر منها: قوة ضربات محمد ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي وشدة بأسه في قتالهم، فالطبري يذكر أنه حمل على تركي يصد الناس عنه، فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة، وضربه الأخير فقتله ورجع وسيفه يقطر دماً وسيف التركي في بيضته، فنظر المسلمون إلى أحسن منظر رأوه في قتال أهل قهستان[٣].

ونستدل من الروايات أيضًا على شجاعة يزيد بن المهلب وبسالته وحُسن بلائه في المعارك التي كان يقودها بنفسه؛ فقد خرج ومعه أربعمائة من قادة جيشه يبحث عن مكان يدخل منه على أهل دهستان، فهجم عليه جماعة منهم وكانوا نحو أربعة

١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧٠، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٣، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٩.
٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٦.
٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، الصفحات: ٥٣٢-٥٣٣، ٥٣٧، ابن أعثم، الفتوح، م٤ ص٢١٣، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٩.

الآف، واشتبك الفريقان في معركة عنيفة، فلما شعر المسلمون بصعوبة القتال طلبوا من قائدهم يزيد بن المهلب أن ينصرف ويواصلوا هم القتال، فأبى أن يفعل وغشي القتال بنفسه، وقاتل قتالًا شديدًا، وقاتل أصحابه فأحسنوا القتال حتى انصرف عنهم عدوهم ولم يظفروا منهم بشيء[١]. ولا شك أن انتصارات يزيد بن المهلب والمسلمين على أتراك دهستان قد أمدتهم بدفعة معنوية هائلة جعلتهم يصرون على فتح مدينتهم عنوة.

وقد واصل المسلمون قتال أتراك دهستان وشدوا عليهم فيه، وكانوا كلما خرجوا من مدينتهم صدمهم المسلمون وهزموهم، فيتقهقرون إلى داخلها، وأنزل يزيد بن المهلب جنوده لحصارها من كل جانب، وقطع الإمدادات التي كانت تأتيهم وتساعدهم على تحمل الحصار ومواصلة القتال، فأصابهم الجهد والضعف وعجزوا عن قتال المسلمين، فلما اشتد عليهم الحصار والبلاء الذي دام ستة أشهر أرسل صول إلى يزيد بن المهلب يسأله الصلح، على أن يؤمنه على نفسه وأهل بيته وماله، ويدفع إليه دهستان وأهلها وما فيها، فقبل يزيد بن المهلب ذلك وصالح عليه، ودخل المدينة فاستولى على ما كان فيها من الأموال والكنوز والسبي، وأمر بقتل أربعة عشر ألف تركي من أهلها صبرًا فقتلوا، وكتب بهذا الفتح إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك[٢] .

ويبدو أن شدة يزيد بن المهلب وقسوته في معاملة أتراك دهستان عند دخولها، قد أدخلت الرعب والفزع في نفوس أهالي جرجان، مما دفعهم إلى مسالمته وموادعته. ويؤيد هذا التخريج أنهم خرجوا لاستقباله عندما بلغهم خبر زحفه إليهم، وخشوا أن يعاملهم نفس معاملة أهل دهستان، لغدرهم ونكوصهم على عهد المسلمين، يسألوه تجديد الصلح القديم الذي كان بينهم وبين سعيد بن العاص[٣]،

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٣-ص٥٣٤، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٦- ص٣٠.

٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩-ص٤٧٠، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٤، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٤، المقدسي، البدء والتأريخ، تحقيق: كليمان هوار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج٦، ص٤٢، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣٠، Zettersteen (K.V.),Yazid B.Al- Muhallab B.Abi Sufra, p,1163.

٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٦، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣٠.

وزادوه وهابوه "فأجابهم إلى ذلك وصالحهم"[١].

وجدير بالذكر أن الطبري يذكر رواية أخرى، تفيد أن فتح جرجان كان ثمرة تعاون بين يزيد بن المهلب وبعض رؤساء جرجان السابقين، فقال: "إن صولاً التركي صاحب دهستان والجزيرة كان يُغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وبينهما خمسة وعشرون فرسخا، فيصيب من أطراف جرجان ثم يرجع". ويبدو أن عدم قدرة مرزبان جرجان على مدافعة صول التركي كانت سبباً في انقلاب ابن عم له يدعى المرزبان عليه ونجاحه في الإطاحة به، وفرار فيروز بن قول من جرجان إلى البياسان، فدخل صول جرجان، وبدأ يستعد لملاحقة صاحب البياسان؛ مما دفعه إلى التحالف مع يزيد بن المهلب صاحب خراسان ضد صول، فخرج إليه بخراسان وأحكم معه التدبير للإيقاع بصول، ونصحه أن يكتب كتاباً إلى الإصبهبذ صاحب طبرستان - وكان مواليًا لصول- يظهر فيه التعظيم له، ويسأله أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان، وله على ذلك مكافأة مالية كبيرة تبلغ خمسين ألف مثقال، وكان يزيد بن المهلب يعلم أن صاحب طبرستان سيبعث بكتابه هذا إلى صول يتقرب به إليه، فيتحول صول عن جرجان وينزل البحيرة، وهذا ما كان يهدف إليه يزيد؛ ليسهل عليه دخول جرجان ثم مهاجمة صول والقضاء عليه. ونجحت خطة يزيد مع فيروز بن قول في الإيقاع بصول، الذي تحول هو ورجاله إلى الجزيرة، وشحنها بالأطعمة والعتاد ليتحصن بها، ولما بلغ يزيد ابن المهلب هذه الأخبار، استخلف أولاده وأولاد أخوته على أعماله بخراسان وما وراء النهر؛ ليتفرغ لقتال أهل جرجان، فاستخلف ابنه مخلد بن يزيد على خراسان، وابنه معاوية بن يزيد على سمرقند وكس ونسف وبخارى، وحاتم بن قبيصة بن المهلب على طخارستان، ثم زحف في ثلاثين ألف ومعه فيروز بن قول نحو جرجان، فدخلها لم يعازره أحد، وأصاب بها أموالاً كثيرة، وهرب المرزبان منها[٢].

وأيا كان الأمر، فبعد أن فرغ يزيد بن المهلب من فتح جرجان، تطلع إلى

١) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣٠.

٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٦-ص٥٣٧، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣٢-ص٣٣، Frye (P.N.), The Golden Age of Persia. p.86.

طبرستان وعزم على أن يسير إليها، فقلّد رجاله على نواحي جرجان وترك معهم حاميات؛ لحفظها وتأمين الفتح، فاستعمل عبد الله بن المعمّر اليشكري على دهستان والبياسان وخلّف معه أربعة الآف جندي، ثم سار إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان، واستعمل على أندرستان أسد (راشد) بن عمرو وجعل معه أربعة الآف من رجاله، ودخل طبرستان، فأرسل إليه الإصبهبذ صاحبها يسأله الصلح، وأن يرحل عن بلاده، فأبى يزيد بن المهلب وطمع أن يفتحها، وأقام معسكره بأطرافها، وبعث ثلاث سرايا من رجاله لتطويق الإصبهبذ، فجعل على قيادتها أخاه أبا عيينة وابنه خالد بن يزيد وأبا الجهم الكلبي، وعهد إلى أبي عيينة القيادة عند اجتماعهم[١]. ويفهم من الروايات أن صاحب طبرستان أدرك صعوبة مواجهة جيوش المسلمين منفردًا، فاستنجد بأهالي المناطق المجاورة، فتقدم أهالي جيلان والديلم لمساندته، ودارت بينهم وبين المسلمين معركة حامية بسفوح جبال طبرستان. وقد أبلى المسلمون بلاءً حسنًا وانتصروا على أعدائهم، ففروا أمامهم وصعدوا الجبال، فأتبعهم المسلمون للقضاء عليهم، فرماهم العدو بالنشاب والحجارة، فانهزموا وتقهقروا إلى معسكر يزيد، وكف عدوهم عن اتباعهم[٢] .

ويبدو أن الأصبهبذ صاحب طبرستان خشي من تجمع قوات المسلمين وتوحيد صفوفهم ومعاودتهم قتاله من جديد، انتقامًا لهزيمتهم، فأراد إبعادهم عن بلده دون الدخول معهم في معركة حاسمة، فلجأ إلى الحيلة لتحقيق ذلك، فكتب إلى أهالي جرجان ورئيسهم المرزبان يخبرهم بانتصاره على يزيد بن المهلب وأصحابه، ويطلب منهم أن ينقلبوا على من عندهم من المسلمين، وأن يقطعوا الطرق المؤدية إلى بلاد الإسلام؛ ليمنعوا وصول الإمدادات منها إلى جيش يزيد بن المهلب، ووعدهم الإصبهبذ أن يكافأهم على ذلك، فنكص أهل جرجان العهد وثاروا عليهم، وهاجموهم وهم آمنون في منازلهم، فقتلوهم جميعا وفيهم خمسين رجلاً من أبناء عمومة يزيد بن المهلب في ليلة، "فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولًا وأربعة آلاف من المسلمين لم ينج منهم أحد، وكتبوا إلى الإصبهبذ بأخذ المضايق

١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧٠، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٣٠-ص٥٣٩، المقدسي، البدء والتأريخ، ج٦، ص٤٢.
٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٠، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣١.

والطرق"[١]. وبلغت يزيد بن المهلب أخبار نكبة المسلمين بجرجان فعظم عليه ذلك، كما هاله قطع الطرق ومنع وصول الإمدادات إليه، فسعى ليصلح أهالي طبرستان وبعث أبا معمر حيان النبطي التركي من أهالي بلاد ما وراء النهر، وكان من دهاة رجاله؛ ليفاوض الإصبهبذ في شأن الصلح "فصالحه على سبعمائة ألف، وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين، وأربعمائة رجل، على كل رجل بُرنس وطيلسان، ومع كل رجل لجام فضة وسرقَة خز وكسوة"، فقبل ابن المهلب ذلك الصلح، وأرسل من يحمل ما صالحهم عليه حيان النبطي، وانصرف إلى جرجان[٢].

ومن المرجح أن يزيد بن المهلب سعى إلى الصلح مع أهالي طبرستان لتأزم موقف قواته هناك، وخوفه من تحالف أهالي جرجان مع أهالي طبرستان على قتاله، مما قد يُعرض قواته للخطر، وكذلك رغبته في العودة إلى جرجان ليثأر من أهلها لغدرهم بالمسلمين. ويتضح من الروايات أنه كان مستعداً لقبول أي شروط صلح قاسية يُمليها الإصبهبذ لتوقيع هذا الصلح معه؛ فالطبري يذكر أن يزيد بن المهلب "قد طابت نفسه على أن يُعطيهم ما سألوا ويرجع إلى جرجان"[٣]. ونستدل من إحدى روايات الطبري أيضًا أن دهاء أبي معمر حيان النبطي وقدرته على خداع الإصبهبذ، وكذلك رغبة الأخير في إبعاد خطر المسلمين المحدق ببلاده، كان وراء قبوله هذه الشروط الصعبة للصلح مع ابن المهلب[٤].

٣/٣ يزيد بن المهلب والفتح الثاني لجرجان ٩٨هـ / ٧١٦م:

بعد أن فرغ ابن المهلب من صلح طبرستان سار إلى جرجان، فلما بلغ المرزبان الخبر خشي انتقامه؛ لغدره بجنده ونقضه عهده. فجمع قواته وتوجه إلى حصن

١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧٠، الطبري، نفسه، ج٦، ص٥٤٠، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٥، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٢٩٩. Zettersteen (K.V.),Yazid B.Al- Muhallab B.Abi Sufra, p,1163. Frye (R. N.), ibd., p.86.

٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧٠-ص٤٧٢، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٠-ص٥٤١، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٦-ص٢١٧، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣١، الحميري، الروض المعطار، ص١٦١.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤١، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣١.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٠-ص٥٤١، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣١. وقارن: البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧٠.

وجاه فاحتمى به، وكان حصناً منيعاً لا يرام تحيط به الغياض من كل جانب، ولا يؤخذ إلا من طريق واحد. وكان المرزبان قد شحنه على ما يبدو بالمؤن والعتاد والعدة تحسبًا لحصار طويل. وأقبل ابن المهلب نحوهم وحاصرهم ونصب المنجنيق عليهم مدة سبعة أشهر، فكانوا يخرجون مراراً فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم[1]. ولقد لعبت المصادفة دورًا مهمًا في اكتشاف المسلمين طريقاً آخر للوصول إلى حصن وجاه. فالطبري يذكر أن الهيّاج ابن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس، وكان منهوما بالصيد[2]، خرج يتصيد فأبصر طريقًا في الجبل، فتتبع الأثر حتى اكتشف معسكر الجرجانيين، فرجع إلى أصحابه وقد بَعُد عنهم، فخشي ألاّ يهتدي إلى موضع الجرجانيين عند الرجوع إليه بصحبة المسلمين، فمزق قباءه وعقد على الشجر علامات حتى وصل، فأتى ابن المهلب فأخبره بمكان معسكر أهل جرجان، فكافأه بأربعة الآف درهم. واغتنم هذه الفرصة للاستيلاء على حصن وجاه المنيع الذي استعصى عليه طيلة سبعة أشهر، ووضع خطة عسكرية محكمة تقوم على مباغتة أهل الحصن بقوة تتكون من ألف وأربعمائة رجل من رجاله، بينما يتقدم هو وبقية جنده لقتالهم عند أسوار حصنهم كالمعتاد والقضاء على مقاومتهم؛ ولكنه علم أن الطريق الخلفية للاستيلاء على الحصن لا تتسع لجنده، فانتخب منهم ثلاثمائة مقاتل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: "إن غلبت على الحياة فلا تُغلبن على الموت، وإياك أن أراك عندي منهزماً"، وضم إليه جَهم بن زحرٍ الجُعفي[3].

وأحكم يزيد بن المهلب تدبيره لإنجاح خطته، فقرر أن يبدأ بمهاجمة الحصن عند الظهيرة فيشغل المدافعين عنه، بينما تهاجم القوة الأخرى أهل الحصن من خلفهم عند العصر، فيطبقون عليهم ويحطمون مقاومتهم، ويستولون على الحصن. ولما انتصف النهار أمر يزيد بن المهلب جنده أن يُشعلوا النار في كل الحطب الذي جمعوه حول الحصن، فصار مثل الجبال من النيران، ففزع أهل الحصن منها وخرجوا إليهم، فحمل عليهم المسلمون وقاتلوهم قتالاً شديدًا. وعند

١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧١، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤١-ص٥٤٢، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٨.
٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٢، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٨.
٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٣.

العصر هجم جهم بن زحر وقواته على عسكر الترك وهم آمنون، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم، ففزعوا فزعًا شديدًا، ودفعهم جهم بن زحر عن باب الحصن وفتحه، في حين ارتد جميع المقاتلين أمام يزيد إلى حصنهم، فتتبعهم إلى داخله وهزمهم هزيمة منكرة، فاستسلموا له ونزلوا على حكمه[١].

وكتب يزيد بن المهلب إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك خبر فتح طبرستان وجرجان[٢]، وأنه قد تحصل عنده من خُمس الفيء - بعد أن أدى لجميع جنده نصيبهم من الفيء والغنيمة - مبلغًا ضخمًا، ويستأذنه في الانصراف إليه ليسلمه هذا المال، فلما قرأ الخليفة كتاب الفتح سره سرورًا شديدًا [٣]. ونستدل من الروايات أن يزيد بن المهلب كان مُعتزاً بفتح طبرستان وجرجان مُتباهيًا به، فقد عظّم للخليفة سليمان بن عبد الملك هذا الفتح الذي تم على يديه في عهده، ولم يتحقق لأكاسرة فارس، وأعيا حكام المسلمين منذ خلافة عمر بن الخطاب ومن جاء بعده من أمـراء المؤمنين[٤]. ومن المرجح أن اعتزاز يزيد بن المهلب بفتح طبرستان وجرجان وتباهيه به وإشارته إلى أنه لم يتحقق في عهود الحكام السابقين وقادتهم، إنما يرجع إلى أسباب عدة ، منها: أهمية هذا الفتح، ورغبته في إظهار مقدرته العسكرية الفائقة كفاتح عظيم، وأنه يتفوق على غيره من قادة الفتح الإسلامي في المشرق، ومنهم: قتيبة بن مسلم الباهلي؛ إذ كان الخليفة سليمان بن عبد الملك يتباهى بفتوحاته في بلاد ما وراء النهر، وأخيراً الإشارة إلى دوره في خدمة دولة الإسلام؛ ففتح جرجان وتثبيته كان مقدمة لانتشار الإسلام بها، وهجرة القبائل العربية إليها.

وجدير بالذكر أن المغيرة بن أبي قرة مولى بني سدوس كاتب يزيد بن المهلب كان قد نصحه أن يكتب للخليفة سليمان بن عبد الملك بالفتح دون أن يُسمي له خمس

---

١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧١، الطبري، نفسه، ج٦، ص٥٤٣ ص٥٤٤، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢١٩، Hartmann (R.)- Boyle (J.A.), Gurgan, p.1141,

٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠٠.

٣) ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٢١.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٤، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٢١. وانظر أيضا: محمد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٤٤ ص١٤٥.

الفيء، وأن يسأله القدوم عليه بدمشق ويشافهه بما يحب من أمر هذا المال. وبرر له ذلك أن الخليفة قد يستكثر هذا المال فيأمر بحمله إليه، أو يهبه له فيتكلف يزيد الهدية، فلا يأتيه من قِبل يزيد شيء إلا استقله، كما برر له ذلك أيضًا: إن هذا المال سيبقي عليه في دواوين بني أمية، وسيُحاسب عليه عند ولاية خليفة آخر ممن قد يتحاملون عليه، فرفض يزيد هذه النصيحة وأمضى الكتاب كما هو، فوقع في يدي عمر بن عبد العزيز الذي ولّى الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك، فأخذ يزيد به وحبسه[١]. ويعلق الحميري على ذلك فقال: "وكأن الذي أشار عليه رأى الغيب من ستر رقيق"[٢].

٤/٣ نكبة المهالبة على يد الأمويين وضياع سلطانهم بجرجان:

مكث يزيد بن المهلب بجرجان بعد فتحها بعض الوقت فقام ببنائها، ثم قلد عليها جهمًا بن زخر الجعفي، وسار إلى خراسان في طريقه إلى الشام لملاقاة الخليفة سليمان بن عبد الملك، فتلقته الهدايا. وتصادف أن مات الخليفة سليمان ابن عبد الملك في صفر سنة ٩٩هـ / سبتمبر٧١٧م، فوقع كتاب يزيد بن المهلب إليه في يد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكتب إليه يطلب البيعة منه ومن أهل البلاد التي يتقلدها، وأن يستخلف على خراسان ويقبل إليه، فاستخلف عليها ابنه مخلدًا وسار إلى العراق في طريقه إلى الشام. وفي الطريق بلغته أنباء عزله عن العراق وولاية عدي بن أرطأة الفزاري، وعند وصوله إلى العراق قبض واليها عليه، وطالبه بالأموال التي جباها من بلاد خراسان وجرجان وطبرستان، فأنكرها يزيد، فأوثقه في الحديد وحبسه[٣]. وحاول بعض الأزد عشيرة ابن المهلب إنقاذه قبل أن يصل إلى الشام، ففشلوا. واقتاده الحراس حتى سلّموه إلى الجند بعين التمر، فحملوه إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فحبسه وابنه معاوية بحصن حلب[٤]، وطالبه

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٤٤-ص٥٤٥، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٣، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٣٥ - ص٣٦.

٢) الحميري، الروض المعطار، ص١٦٢.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٥٦، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٣٢-ص٢٣٤، المقدسي، البدء والتأريخ، ج٦، ص٤٦، Frye, The Golden Age of Persia p.86.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٥٨، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٨، ص٤٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٠١، Zettersteen (K.V.),Yazid B.Al-Muhallab B.Abi Sufra, p,1163.

بالأموال التي كتب بها إلى سليمان، فأنكرها يزيد وادعى أنه كتب بها إلى سليمان من باب المباهاة ليُسمع الناس به، وأن سليمان لم يكن ليطالبه بها[١]، فاستنكف الخليفة هذا الادعاء، وأصر على اتهامه ليزيد باختلاسها، فطلب منه يزيد أن يُطلق سراحه؛ ليجمع له الأموال التي يطالبه بها، فرفض الخليفة ذلك، وقال له: "أتأخذها من الناس مرة أخرى"[٢].

كذلك نكب الخليفة عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب في بقية أولاده، فعزلهم عن أعمالهم التي استخلفهم والدهم عليها، ومنهم: مخلد بن يزيد، فعزله عن خراسان وقلدها للجراح بن عبد الله الحكمي، فأقبل مخلد بن يزيد من خراسان على الشام ليتشفع لأبيه عند الخليفة عمر بن عبد العزيز، وعرض عليه أن يُصالح يزيدًا على جميع ضيعه وفاءً للمال الذي يتهمه فيه، فرفض الخليفة وأصر على أخذ يزيد بالمال الذي ذكره في كتابه لسليمان[٣]. ويبدو أن رفض الخليفة لهذا الاقتراح كان بسبب إنكار يزيد اختلاس هذا المال، ورفضه أن يُقسم على ذلك[٤]، ولاعتقاده أيضًا أن هذه الضياع كانت هي الأخرى من بيت مال المسلمين، فلا يحق ليزيد أن يتصرف فيها.

واستمر يزيد بن المهلب في حبسه حتى بلغه خبر احتضار الخليفة عمر بن عبد العزيز في سنة ١٠١هـ / ٧٢٠م، فهرب وابنه معاوية بمساعدة مواليه، بعد أن برطل عامل حلب والجند المكلفين بحراسته، خوفًا من بطش يزيد بن عبد الملك ولي العهد لسوء العلاقة بينهما؛ لأسباب منها: تعالِ ابن المهلب عليه وتوعده بقتاله عند ولايته الخلافة[٥]، وقيامه بتعذيب آل عُقيل رهط الحجاج الثقفي - وكانوا أصهار يزيد بن عبد الملك - في أثناء ولايته على العراق سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م، وكان ابن عبد الملك قد تشفع لأصهاره، فلم يقبل ابن المهلب شفاعته، فهدده بتقطيع

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٧٧، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٣٧، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٤٦، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩، ابن خلكان، م٦، ص٢٩٩، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٢٢٢، Crone, ibid., p.359.

٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٣٠٢، عبد المنعم سلطان، آل المهلب العمانيون، ص١١٠.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٥٧ ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٣٨، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩.

٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٨٦.

٥) ابن أعثم، كتاب الفتوح، م٤، ص٢٣٩-ص٢٤٠.

جسده لئن صارت الخلافة إليه، وأقسم على ذلك[١].

انزعج الخليفة يزيد بن عبد الملك لفرار يزيد بن المهلب، واهتم بتعقبه والقبض عليه قبل أن يتفاقم أمره، وأدرك بثاقب نظره أنه سيلجأ إلى البصرة حيث عشيرته بني المهلب وأعوانه وأنصاره من الأزد؛ فأمر عدي بن أرطأة واليه على البصرة أن يقبض على منْ بها من آل المهلب ومواليهم وشيعتهم ويحبسهم. فوقع في قبضته المفضل وحبيب ومروان وعبد الملك إخوة يزيد وضيّق عليهم، ونجا محمد بن المهلب من هذا المصير[٢]. وجدير بالذكر أن يزيد بن المهلب وإخوته مالوا إلى الصلح مع عدي بن أرطأة، وحقن دماء أهل البصرة فرفض[٣]، فبعث إليه أن يطلق سراح إخوته مقابل الصلح، وتعهد له أن يتركه على حكم البصرة على ألا يتعرض له عند قتال الخليفة يزيد ابن عبد الملك وجيوشه، فلم يقبل ذلك منه[٤]. ونستدل من الروايات أن عبد الملك بن المهلب لم ييأس من عقد الصلح مع الخليفة يزيد بن عبد الملك، فقد أرسل إليه من محبسه ولده حميد بن عبد الملك، يطلب الأمان ليزيد وأهل بيته، فوافق الخليفة وبعث إلى يزيد ابن المهلب رسولين بالأمان، ولكن الأخير رفض الانصياع وموادعة الخليفة الأموي، فتفاقم الوضع بينهما، وأخذ يستعد للاستيلاء على البصرة[٥].

وهكذا فشلت محاولات الصلح بين الأطراف المتنازعة، ويرجع ذلك فيما أرى إلى فساد نواياهم وشك كل منهم في الآخر؛ فعبد الملك بن المهلب يطلب الأمان له ولإخوته خشية أن يفتك بهم الخليفة يزيد بن عبد الملك وهم في قبضته، ولم يجنح يزيد بن المهلب للسلم كافة، بل كان مصممًا على التمرد، وعرض الصلح

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٦٤، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٣٩-ص٢٤٠، ابن القاسم الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق: د. علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٣، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٧، Hawting, the first daynasty of Islam, p. 75.

٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٧٨-ص٥٧٩، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٤٢، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٣، الخطيب التبريزي، شرح مقصورة ابن دريد، ٣٣، تحقيق: د. فخرى الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٤، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٧١.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٧٩.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٨٠، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٤٣.. Crone (P.), ibid, p.359

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٨٠ ص٥٨٤.

على صاحب البصرة فقط، ليستميله إليه ويستقطبه إلى جانبه حتى يتفرغ لقتال الخليفة. وقد لحق يزيد بن المهلب بالبصرة، فانتصر على جيشها بمساعدة أنصاره وأعوانه الذين كان يتزعمهم محمد بن المهلب، وغلب عليها وقبض على عاملها عدي بن أرطأة فحبسه، فهرب وجوه أهل البصرة منها ولحق بعضهم بالكوفة وبعضهم الآخر بالشام، وأخلى يزيد بن المهلب سبيل إخوته من السجن، وخلع يزيد بن عبد الملك[١]، وطلب الخلافة لنفسه[٢]، وبعث بعماله إلى الأهواز وفارس وكرمان ومُكران وعُمان والسند والهند والبحرين فاحتوى عليها، وبعث أخاه مدركًا بن المهلب إلى خراسان للاستيلاء عليها وحشد الحشود منها، فلم يوفق في ذلك[٣].

تأزم الموقف بين الطرفين وحشد كل منهما جيوشه لقتال الآخر، واستوثق أهل البصرة كما تذكر الروايات ليزيد بن المهلب رغم موقف الحسن البصري غير المؤيد له، وتحريضه للبصريين بعدم الانضمام إليه[٤]، وكان يزيد بن المهلب قد خطب فيهم وحدد أهدافه من الخروج على الخليفة يزيد بن عبد الملك، فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتعهدوا له ألا تطأ جنود الأمويين بلدهم، ولا تعاد عليهم سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي[٥]، فاستخلف عليهم أخاه مروان بن

١) الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ج٢، ص٧٥، ص٤٢٧، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٧٨، ص٥٨٤، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٤٤ ص٢٤٥، أبو زكريا الأزدي، تاريخ الموصل، ص٨، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٣، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٧١-ص٧٣.

٢) ابن حزم، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: د. شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م١٣، ديسمبر١٩٥١م، ص٧٦.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦ ص٥٨٦ ،٦٠٠، ابن أعثم، الفتوح، م٤ ص٢٤٦، أبو زكريا الأزدي، تاريخ الموصل، ص٨ ص٩، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٧٥، ابن خلدون، العبر، م٣، ص٧٨، Hawting, The first dynasty of Islam, pp.75-76.

٤) الفسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، م٢، ص٥١، ص٥٢، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج٢، ص١٤٧، ص١٤٨.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦ ص٥٩٢، ابن أعثم، الفتوح، م٤ ص٢٤٦، ص٢٤٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦ ص٣٠٤، الهيثمي، مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، م٣ ص٢٥٣، محمد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ١٥٣، ص١٥٤، Crone (P.), Muhllabids, p. 359, Crone (P.) - Hinds (M.), Good's Caliph, Religious authority in the first centuries of Islam,University of Cambridge Press, 1986, pp.12, 51, 61, 64-66, Hawting, op.cit., p.75.

المهلب، وتحرك في اتجاه مدينة واسط فنزلها وأقام بها أيامًا يسيرة [١]، "وحشدت له الأزد وأحلافها، وانحاز إليه أهله وخاصته، وعظم أمره واشتدت شوكته" [٢]، وبذل الأموال فكثر أنصاره[٣]، وبلغ عددهم مائة وعشرين ألف مقاتل[٤]. ونستدل من الروايات أن جيش يزيد ابن المهلب قد تضخم إلى هذا الحد بانضمام بعض أهل الكوفة والجبال، كما أقبل إليه أيضًا جند من الثغور[٥]، ومن البحرين وعُمان[٦]. كذلك شارك معه بعض مواليه من مسلمي جرجان، منهم: صول التركي أحد رؤساء جرجان السابقين، وأبلوا في القتال بلاءً حسنًا[٧]. وجدير بالذكر أن معظم آل المهلب، وأبرزهم عبد الملك بن المهلب، وبعض أخواته المُهلبيات، وقومهم الأزد بالبصرة وعُمان كانوا من أتباع الدعوة الإباضية في مرحلة الكتمان، وكان جابر بن زيد إمام الإباضية المُعلم الديني لآل المهلب؛ إذ اعتاد أن يزورهم ويعلّمهم تعاليم الإسلام، ويأمرهم بالعمل الصالح، وكانت بينه وبين بعضهم مراسلات[٨]، مما يفسر وجود الإباضية بكثرة في معسكر يزيد بن المهلب.

وبعث الخليفة يزيد بن عبد الملك ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في عشرين ألفاً من جنود أهل الشام، فنزل الحيرة[٩]، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك في جيش ضخم من أهل الشام بلغت عدته سبعين (وقيل ثمانين) ألف مقاتل معظمه من القبائل اليمنية، ليس معهم من ربيعة ولا مضر إلا قليل، ونزل

يذكر اليافعي أن يزيد بن المهلب نصب رايات سودًا، وتسمى بالقحطاني (مرآة الجنان، ج١، ص٢٤١).

١) ابن القاسم الأزدي، تاريخ الموصل، ص٨- ص١٠.

٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٤٢، الحميري، الروض المعطار، ص٤١٩.

٣) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٣.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٢، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٧٩.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩١، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٧٩.

٦) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٠، Hinds,An Early Islamic family from Oman, p,64.

٧) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٣٦.

٨) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٣، ص٨٩، عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠٠٢م، الصفحات: ٩٧-١٠١، ١٠٤، ١١٠- ١١١، صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العُماني وآثاره في الدعوة، الطبعة الثالثة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٩٧م، الصفحات: ٥٢-٥٣، ١٦٧، عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م، ص٨٧، ص٩٠.

٩) ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٤٨.

الكوفة، مما يدل على أن هذه الثورة لم تكن صراعا قبليا بين اليمنية والقيسية. وخطب يزيد ابن المهلب في جنده وألهب حماسهم لقتال جيوش أهل الشام[١٠]، ثم تحرك من واسط واستخلف عليها ابنه معاوية بن يزيد وجعل عنده الرجال والأموال والأسرى، وسار للقاء جيش أهل الشام وقدّم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة لضربها والاستيلاء عليها، وسار هو حتى نزل العقر من أرض بابل، فاصطدم جيش عبد الملك بن المهلب بجيش العباس بن الوليد بشدة وهزمه، ثم استعاد أهل الشام رباطة جأشهم وكروا على قوات المهالبة فهزموهم، وانسحب عبد الملك بن المهلب بمن معه حتى انتهى إلى أخيه عند العقر[١١].

أقبل مسلمة بن عبد الملك بقواته ونزل العقر بمواجهة جيش ابن المهلب في الأسبوع الأول من شهر صفر ١٠٢هـ/ منتصف أغسطس ٧٢٠م، وأخذ كل منهما ينظم صفوفه استعدادًا للمواجهة المرتقبة، واستغرق ذلك ثمانية أيام[١٢]. وخلال ذلك أرسل مسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب يسأله الصلح وحقن دماء المسلمين، وتعهد له بالأمان وأن يقلده وبقية إخوته ما يرغبون من البلاد، وأعلن استجابته لدعوة يزيد بن المهلب إلى التمسك بالكتاب والسنة والاحتكام إليهما[١٣]. ورغم ذلك فقد مضى يزيد بن المهلب في الاستعداد لمواجهة أهل الشام، ووضع خطة الهجوم عليهم لمعرفته بغدرهم ومكر قائدهم مسلمة بن عبد الملك، غير أنه اصطدم بمعارضة بعض رجاله من الإباضية والمُرجئة الذين رفضوا البدء بالهجوم على أهل الشام قبل أن يحتكموا إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ[١٤]. وهكذا وقع انقسام خطير في صفوف يزيد بن المهلب يذكرنا بما حدث في صفوف الخليفة علي بن أبي طالب عند قتاله لأهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان قبل موقعة

١٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٢، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٤٨، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٤.

١١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٠- ص٥٩١، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٧٩.

١٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٠٥، السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: د. رحاب خضر عكاوي، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٥٨- ص٢٥٩.

١٣) ابن أعثم، كتاب الفتوح، م٤، ص٢٥١.

١٤) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٠، العبود، آل المهلب بن أبي صفرة، ص١٢٢، Madelung (Wilferd), The early Murji in Khurasan and Transoxania and the spread of Hanafism, article in Religious Schools and Sects in Medieval Islam, Ashgate Publishing Compan, Burlington, US, 2002, p.32.

صفين[١].

وفي يوم الجمعة ١٤ من صفر ١٠٢هـ/ ٢٣ أغسطس٧٢٠م، عبأ مسلمة بن عبد الملك قواته وبادر جيش ابن المهلب بالهجوم، في حين أرسل أحد رجاله لحرق الجسر، فاضطر يزيد بن المهلب إلى مواجهته، فجعل على ميمنته حبيب بن المهلب ومعه بعض الفقهاء الإباضية، ومنهم: جعفر بن السماك العبدي وحَتّات بن كاتب العُمانيان، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب، ونشبت الحرب بين الفريقين، ولم يشتد القتال، فلما رأى جند ابن المهلب الدخان، انهزموا عنه وعن أخيه حبيب فلقب لذلك بالحرون[٢]، وولى أكثرهم الأدبار، فاستنكر يزيد منهم ذلك[٣]. ولما بلغ يزيد بن المهلب مقتل أخيه حبيب بن المهلب، ومعظم رجاله، ومنهم: الفقيهين العُمانيين[٤]، شعر بهوان الحياة بعده، وقرر مواصلة القتال حتى الموت، فنكص معظم رجاله الذين رفضوا القتال وتسللوا عنه، وبقيت معه جماعة من وجوه الإباضية والمرجئة وبعض مواليه، فاخترق بهم صفوف أهل الشام بفدائية يقصد قتل مسلمة بن عبد الملك "فكلما مّر بخيل كشفها، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه"، حتى تكاثروا عليه فقتلوه وانهزم باقي أصحابه[٥]، وقتل معه محمد بن المهلب وجماعة من أصحابه، منهم: السميدع رأس الإباضية[٦]، وصول الجرجاني[٧]. وتذكر الروايات أن يزيد ابن المهلب خاض هذه المعركة وهو يعاني مرضًا شديداً في بطنه أصابه بالحمى، فوضع على كرسي، إلا أنه لما شعر بالهزيمة امتطى جواده وقاتل إلى أن قُتل[٨]. وكان يزيد ابن المهلب عند موته

1) Hawting, The first dynasty of Islam, p76.

٢) المبرد، الكامل، ج١، ص٣١١.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٥، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٢.

٤) البطّاشي، تاريخ المهلب، ص١١٢.

٥) قيل إن الذى تولى قتله القحل (الفحل) بن عياش أحد بنى جابر بن زهير بن جناب الكلبي، وقد قتله يزيد، فماتا (الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٧، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٥٧، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٠٦).

٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٦-ص٥٩٧، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٥١-ص٢٥٣، أبو زكريا الأزدي، تاريخ الموصل، ص١٠ ص١١، الخطيب التبريزي، شرح مقصورة ابن دريد، ص٣٨-ص٣٩، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٢ ص٨٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٠٥-ص٣٠٦، الحميري، الروض المعطار، ص٤١٩.

٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٩١-ص٤٩٢، السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٣٦.

٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١١، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٤.

في التاسعة والأربعين من عمره، وكان كما قال ابن خلكان في رثائه من النجباء الكرماء العظماء الفرسان[١].

وتذكر الروايات أن المفضل بن المهلب أحسن تعبئة قواته وظل يقاتل جيش أهل الشام، فلما شاع خبر مقتل إخوته تفرّق الناس عنه، وقد أصيبت عينه، فانسحب بمن بقى من ولد المهلب إلى واسط وكان عليها معاوية بن يزيد بن المهلب، فلما علم بهزيمة جيش المهالبة ومقتل والده وأعمامه، أخرج اثنين وثلاثين أسيرًا كانوا عنده فضرب أعناقهم انتقامًا لقتلاه[٢]، ثم حملوا الأموال والخزائن وخرجوا نحو البصرة، وقد اجتمع بها أيضًا بقية آل المهلب وكانوا يخشون من بطش الخليفة يزيد بن عبد الملك، خاصة وقد أمر أخيه مسلمة -كما يذكر ابن أعثم- أن يطلبهم حيث كانوا فيقتلهم ولا يبقي على أحد منهم[٣]. وولى آل المهلب أمرهم المفضل بن المهلب أكبرهم سنًا ومقامًا، وحملوا عيالهم وأموالهم ومتاعهم، وأعدوا السفن وتجهزوا للركوب في البحر في طريقهم إلى قندابيل بالسند[٤]. وكان يزيد ابن المهلب قد قلد وداع بن حُميد الأزدي أحد رجال قومه (الأزد) المقربين إليه ولاية قندابيل عندما أعلن الثورة على يزيد بن عبد الملك، وطلب الخلافة لنفسه، وزحف لقتال أهل الشام، وأوصاه أن تكون قندابيل ملجأ آمناً لأهل بيته إذا قتل في المعركة المرتقبة "فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً"، وأخذ عليه العهود والمواثيق بنصرتهم عند لجوئهم إليه[٥]. ومن المرجح أن يزيد بن المهلب اختار قندابيل

---

١ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٠٩.

٢) المبرد، الكامل، م١، ص٢١٩-ص٢٢٠، الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٠، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٥.

٣) ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٥٦.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٨-ص٦٠٠، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٤، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٤ ص٨٥، ابن خلدون، العبر، م٣، ص١٧١، Crone (P.), Muhllabids, p.359. وقنداابيل (كنداوا Gandawa قاعدة إقليم كاتشي ببلوشستان) مدينة بكورة طواران إحدى كور إقليم السند الخمس. وكانت مقصدًا للتجار يترددون عليها بحوائجهم (المقدسي، أحسن التقاسيم، الصفحات: ٣٥٨-٣٦٠،٣٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٦-ص٢٧٩، البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٩٧، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٤، ص٤٠٢). وقد فتحها مجاعة بن سعر التميمي سنة ٧٩هـ/٦٩٨م، ثم أتم محمد بن القاسم الثقفي فتحها أثناء حملته المظفرة على السند في عام٩٢هـ/٧١١م (البلاذري، فتوح البلدان، ص٦١١).

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٠، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٥، سعد بن سعيد الحميدي، عرب عمان ودورهم في أحداث ثغر الهند في القرنين الأول والثانى الهجريين، بحث ضمن كتاب عمان في التاريخ، دار أميل للنشر المحدودة، لندن، ١٩٩٥م، ص١٥٠، AL-Humaidi, Makran and Baluchistan from Early Islamic, p.250.

لتكون ملجأ آمنًا لأهله وحصنًا منيعًا لهم؛ لبعدها عن دمشق مركز الخلافة الأموية، وعن العراق الموالي لبني أمية، فلا تصل إليهم أيدي الخليفة يزيد بن عبد الملك بسهولة، ولا شك أنه أخبر أهله بهذا الأمر وأمرهم باللجوء إلى قندابيل إذا دارت عليهم الدائرة.

أبحرت السفن بآل المهلب من البصرة، ثم رست بالبحرين وبها هرم بن القرار العبدي عامل يزيد بن المهلب، وأرادوا النزول بها للراحة والتزود بالمؤن، فأشار عليهم واليها ألاّ يفارقوا سفنهم، ففيها بقاؤهم وسلامتهم، وبرر لهم ذلك بخوفه إن خرجوا من السفن أن يتخطفهم الناس، ويتقربوا بهم إلى بني أمية[١]، وكانت نصيحة هرم بن القرار صائبة رغم ما تنطوي عليه من قلة الوفاء للمهالبة، وعدم مؤازرته لهم في محنتهم؛ فما كان يستطيع حمايتهم من بطش الأمويين وسطوة جيوشهم، ولعله في الوقت نفسه كان يرغب في إبعادهم عن التفكير في الاحتماء بالبحرين، لما قد يجره عليه ذلك من غضب الأمويين منه وعزله من منصبه[٢]. وتفهم المهالبة موقف والي البحرين رغم حاجتهم إلى الراحة وعدم قدرتهم على البقاء كثيرًا في البحر، وتوجهت سفنهم إلى عُمان، وكان عليها زياد بن المهلب من قبل أخيه يزيد[٣]، فآواهم كما يذكر العوتبي الصحاري ورحب بهم في وطنهم الأصلي، وشجعهم على البقاء بين أهلهم حيث الأمان والاستقرار، فأبوا خوفاً من أن تنالهم سيوف الأمويين فرحلوا ورحل معهم زياد[٤]. ونستدل من رواية العوتبي أن المهالبة لم يلجؤوا إلى عُمان للاحتماء بها والاستقرار فيها، وإنما توجهوا إليها لطلب الراحة والتزود بالمؤن، ثم رحلوا منها خوفًا من أن تصل إليهم أيدي الأمويين لقربها من البصرة. ويذكر الطبري أنهم مضوا بسفنهم حتى وصلوا قبالة كرْمان[٥]، فرست هناك ونزلوا منها، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٠، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٩.

٢) عبد المنعم سلطان، آل المهلب العمانيون، ص١٢٩- ص١٣٠.

٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٠٤.

٤) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٩، Hinds, ibid., p. 81.

٥) كرمان: ولاية مشهورة، تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وتتاخم بحر فارس من جهة الجنوب، وهي ذات بلاد ومدن واسعة، وأهلها أهل سنة وجماعة، والمذاهب الغالبة للشافعي إلا جيرفت. وقد اتصل بها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب، ثم فتحها مجاشع بن مسعود السلمي عنوة في ولاية عثمان بن عفان، ففر أهلها وركبوا البحر إلى

الدواب إلى كرمان، والتف حولهم هناك جمع كثير من أنصارهم الذين كانوا قد فروا إليها عندما لاحت بوادر هزيمة يزيد بن المهلب في العقر، وتحصنوا بها[١].

وكانت عيون الأمويين تراقب تحركات فلول المهالبة بعد فرارهم من البصرة، للقضاء عليهم قبل أن يتمكنوا من حشد حشودهم واصطناع الأعوان. فالطبري يذكر أن مسلمة ابن عبد الملك بعث مدركاً بن ضب الكلبي في عشرة آلاف رجل من أهل الشام في طلب آل المهلب وأنصارهم الفارين إلى كرمان، فلحق بهم وقد اجتمعوا على المفضل بن المهلب، واشتبك الجانبان في معركة عنيفة استبسل فيها المهالبة وأنصارهم حتى هزموا. وأسفرت المعركة عن قتل عدد كبير من رجال المفضل بن المهلب، وأسر بعض أصحابه ومنهم ابن صول ملك جرجان، كما رجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب وطلبوا الأمان من مسلمة بن عبد الملك فآمنهم، وتمكن المفضل بن المهلب من الفرار من المعركة ومن معه من أهله وبقية أنصاره وتوجه إلى قندابيل[٢]. ويبدو أنهم سلكوا الطريق التجاري البري الذي كان يربط كرمان بالسند مروراً بمكران[٣]، وهذا يفسر رواية العوتبي الذي ذكر أنهم اتجهوا إلى مكران للاحتماء بها[٤]. فلعلهم أخذوا قسطا من الراحة بها خاصة وهي إحدى محطات هذا الطريق[٥]، كما أنها كانت كما يذكر المقدسي من إقليم السند مضافة إليه "لأنها بقربه مصاقبة له" [٦]، قبل مواصلة فرارهم إلى قندابيل.

ويبدو أن مسلمة بن عبد الملك ساءه فشل مدرك بن ضب في القضاء على المهالبة

سجستان ومكران، فأُقطعت العرب منازلهم وأرضهم فعمّروها (اليعقوبي، البلدان، ص٥٤، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٤٦- ص٣٥٧، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٦٦-ص٢٧٣، أفضل الدين الكرماني، بدائع الأزمان في وقائع كرمان، دراسة وترجمة وتعليق: د. ثريا محمد علي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٣-ص١٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٤، ص٤٥٤ ص٤٥٥، لسترنج، بلدان الخلافة المشرقية، ص٣٣٧- ص٣٥٩.

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٠-ص٦٠١، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٥٦، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٥.

٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠١-ص٦٠٢، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٥٦، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٥-ص٨٦.

٣) كان الطريق من كرمان إلى السند كما يذكر ابن خرداذبة (المسالك والممالك، ص٢٣١) جزءًا من الطريق التجاري البري الدولي الذي كان يسلكه التجار، ومنهم تجار الروس من أرض الفرنج والأندلس في غرب أوربا إلى الهند ثم الصين.

٤) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٩، البطاشي، تاريخ المهلب، ص١١٣.

٥) كانت المسافة من جيرفت بكرمان إلى أول عمل مكران ٤١ فرسخًا (ابن خرداذبة، نفس المصدر، ص٥٥).

٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٥٨.

وأنصارهم في كرمان، فعزله وقلد هلال بن أَحْوَز المازني التميمي قيادة الجيش وسيّره في أثرهم، خشية أن ينجحوا في الاستيلاء على الأطراف الشرقية للدولة الإسلامية، وإشاعة الفتنة بها ضد الأمويين[١]، وأمره "أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه"[٢]، فلحقهم قبل أن يدخلوا قندابيل[٣]. ونستدل من الروايات أن القائد الأموي الجديد لجأ إلى الحيلة لتضييق الخناق على المهالبة وإضعاف شوكتهم قبل لقائهم تمهيداً للقضاء عليهم؛ فعمد إلى استمالة ودّاع بن حميد الأزدي صاحب قندابيل وأرسل إليه ليتنكر لبني قومه ويدير لهم ظهر المجن، ويبدو أنه أغراه بالبقاء في ولايته مقابل تعاونه معه في القضاء عليهم. ونجحت خطة هلال بن أحوز في استمالة صاحب قندابيل، فمنع المهالبة من دخولها، وانضم إلى جيش الأمويين في قتالهم، فجعل هلال بن أحوز على الميمنة، وابنه عبد الملك بن هلال على الميسرة، واستكمالاً لخطته أعلن قائد جيش الأمويين الأمان للناس عندما اصطفوا للقتال، فاستجاب له أنصار المهالبة وتفرقوا عنهم[٤]. وهكذا تعرض المهالبة للهزيمة قبل أن تبدأ المعركة مع قوات الأمويين كما حدث يوم العقر، بسبب خذلان أنصارهم وانفضاضهم عنهم.

فلما رأى المهالبة انفضاض الناس عنهم عزموا على القتال ووطنوا أنفسهم على الموت، وقرر مروان بن المهلب قتل نساء أهل بيته خوفًا من وقوعهم في الأسر، فنهاه أخوه المفضل عن ذلك، وتقدموا بسيوفهم فقاتلوا بفدائية[٥]، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة قبل أن يتكاثروا عليهم ويثخنوا القتل فيهم حتى كادوا

---

١) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج١، ص٦٣.

٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٥١٤، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى بها د. يوسف البقاعي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٤٣، الحميري، الروض المعطار، ص٤١٨.

٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٢٠٦، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٤٩٢، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٦، القاضي أطهر، العقد الثمين، ص١٨٣.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٢، ابن دريد، الاشتقاق، ص٥٠٨، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٦، إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، علاقة المهالبة العُمانيين بالهند منذ فتحهم لها حتى نكبتهم بها (١٥ - ١٠٢هـ/ ٦٣٦ - ٧٢٠م)، نشر ضمن بحوث الندوة الدولية: عمان والهند: أفاق وحضارة، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠١١م، ص٨٠-ص٨١.

٥) المبرد، الكامل، ج١، ص٣١٠، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٥-ص٦٥٦.

أن يفنوهم[١]، فقتل منهم يومئذ: المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بني المهلب، ومعاوية بن يزيد بن المهلب، و المنهال بن أبي عيينة بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابني قبيصة بن المهلب[٢]، ويعلق الجاحظ على كثرة قتلى آل المهلب على أيدي الأمويين بقوله: "ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذي ظهر في آل أبي طالب، وآل الزبير، وآل المهلب" [٣]. وتمكن أبو عيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب من الفرار والاحتماء في غياض بلاد الهند، ثم لحقوا بعد ذلك برتبيل أحد ملوك بلاد الترك[٤]، وبعث هلال ابن أحوز برؤوس القتلى والنساء والأولاد والأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك بالحيرة، فقدّم النساء والذرية ليبيعهم في سوق الرقيق، فاشتراهم منه الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف درهم، فلم يأخذ منه مسلمة شيئًا وأطلق سراحهم، وألحقهم بقومهم بالبصرة، إلا تسعة فتيان بعث بهم مع رؤوس القتلى والأسرى إلى الخليفة يزيد ابن عبد الملك، فأمر بنصب الرؤوس بحلب[٥]، وبضرب أعناق الأسرى بين يديه وكانوا ثلاثة عشر رجلًا، منهم: المعارك وعبد الله والمغيرة والمفضل ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب، ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل أولاد المفضل بن المهلب، والمفضل بن قبيصة بن المهلب[٦]. وقد علق الفرزدق على نكبة المهالبة بقندابيل

---

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٢، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٤٣، Hawting, The first dynasty of Islam, p. 76.

٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٢٠، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٤١٥، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٥، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٦، القاضي أطهر، العقد الثمين، ص١٨٣-ص١٨٨، Hinds, An early Islamic family, p.74.

٣) الجاحظ، البيان والتبيين، م٢، ص٢١٦.

٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٢-ص٦٠٣، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٥٧، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٦.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٢-ص٦٠٣، ابن أعثم، الفتوح، م٤، ص٢٥٧، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٦.

٦) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٧، ابن خلدون، العبر، م٣، ص١٧٢، سعد بن سعيد الحميدي، نفس المرجع، ص١٥٠.

ويذكر أبو تمام (المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ق٤، رقم٧٧٨، ص١٧٥٨-ص١٧٥٩)، أن الشاعر كُثير عزة (ت١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م) كان في مجلس الخليفة يزيد بن عبد الملك عندما عرضوا عليه أسرى آل المهلب، فتشفع لهم عنده لأنهم يمنية مثله، وأنشد (الطويل):

حليم إذا ما نال عاقب مجملًا أشد العقاب أو عفا لم يثرّب

فعفوًا أمير المؤمنين وحسبة فما تأته من صالح لك يُكتبِ

قائلًا (الطويل) [١]:

لقد كان في آل المهلـــــب، عبـــرة وأشياعهـم لم يبق إلا شريدها

يُقحّمُهم في السند سيف ابن أحوز وفرسانـــه شهب يُشب وقودها

أسود لقاء من تميـــــم سمت لهم سريـع إلى ولغ الماء ورودها

وقد اقتدى الخليفة يزيد بن عبد الملك في قتله آل المهلب صبرًا بين يديه بفعل الخليفة يزيد بن معاوية بالعلويين "ليُري أهل الشام أنه قتل أهل بيت أعز العرب في وقته، كما قتل يزيد بن معاوية أهل بيت نبي الله ﷺ"[٢]. فضربت العرب المثل بهذين البيتين فقالوا: "ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحى بنو مروان بالمروءة (بالكرم) يوم العقر ببابل"[٣]. ومن ناحية أخرى أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك بمصادرة أموال آل المهلب وضياعهم ودوابهم في كل مكان، وأقطعها لأولاده وكبار رجال دولته[٤]. ويذكر العوتبي أن مسلمة بن عبد الملك أمر رجاله أن يهدموا دور آل المهلب بالبصرة، فتولى هدمها عمر بن يزيد بن عمير الأسدي[٥]. كما لحقت النكبة أيضًا برجال المهالبة وأعوانهم الذين خدموا لهم في ولاياتهم؛ فابن الأثير يذكر أن سعيد بن عبد العزيز الأموي والي خراسان وصهر مسلمة بن عبد الملك نكب جهمًا بن زحر الجعفي وثمانية آخرين من رجال يزيد بن المهلب، عندما رُفع إليه أنهم اختانوا أموالًا من فيء المسلمين في أثناء مشاركتهم يزيد بن المهلب في فتوحاته، فحبسهم وجَرّسهم وضربهم، فمات بعضهم، منهم: جهم بن زحر في أثناء التعذيب، وأشرف الآخرون على الموت فأخرجهم والي خراسان

أساؤوا فإن تصفح فإنك قادر وأفضل حلم حسبة حلم مغضب

فرفض الخليفة شفاعته.

١) الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ج١، ص٢٦٩-ص٢٧٠.

٢) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٨.

٣) المبرد، الكامل، ج٤، ص١٣، البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٠، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٤، ص١٠٩، م٦، ص٣٠٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٩.

٤) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٢٣٠، ٥١١، ٥١٤، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٢٩، Hinds, ibid., pp.5, 25.

٥) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٥.

للمشاركة في صدّ الترك والصغد عن ولايته[١].

وهكذا قُضي على كثير من رجالات المهالبة في المأساة الدموية بقندابيل، وحلت بهم وبأعوانهم النكبات على يد الخليفة يزيد بن عبد الملك بعدما تفانوا في خدمة الأمويين سنوات طويلة كانوا فيها من الأعمدة الأساسية لدولتهم. وتذكر إحدى الروايات أن المهالبة مكثوا بعد هذه النكبة عشرين سنة يولد فيهم الذكور ولا يموت منهم غلام[٢]. ويمكن قبول هذه الرواية رغم ما بها من مبالغة، وكأن القدر أراد أن يعوضهم بهؤلاء الذكور عما فقدوه من رجالهم منذ أن حلت بهم النكبة في العقر حتى قندابيل. وجدير بالذكر أن المهلب بن أبي صفرة كان يقول: "ليس أنمى من بقية السيف"، فوجد الناس كما يذكر الجاحظ "تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء"[٣].

ونستدل من الروايات أن بعض المهالبة عادوا بعد نكبتهم إلى الظهور من جديد، دون أن يكون لهم دور مؤثر في الأحداث السياسية لسنوات طويلة؛ فبعدما قضى الأمويون على تمردهم ونكبوهم، عادوا وصفحوا عن بقيتهم دون أن يعتمدوا عليهم في شؤون دولتهم؛ فابن الأثير يذكر أن هند بنت المهلب أرسلت إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك تتشفع لأخيها أبي عيينة وتطلب له الأمان، فآمنه، وأن عمر بن يزيد بن المهلب وعثمان ابن المفضل بن المهلب بقيا ببلاد الترك حتى ولي أسد بن عبد الله القسري خراسان في سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م، فكتب إليهما بأمانهما فقدما خراسان[٤]. وبعد أكثر من عشرين عاما على نكبتهم حسن رأي الأمويين في المهالبة، وبدأوا يعتمدون عليهم تدريجيًا في بعض أمور دولتهم، فقد كان مروان بن يزيد بن المهلب (الذي نجا من نكبة أهله وسكن السند) من بين القادة الذين اعتمد عليهم عمرو بن محمد بن القاسم والي السند في أواخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٤ هـ/٧٤٣ م[٥].

١) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٩٠ ص٩١.

٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٤٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٠٨.

٣) الجاحظ، البيان والتبيين، م٢، ص٢١٦.

٤) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٨٩، العبود، آل المهلب بن أبي صفرة، ص١٢٦.

٥) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٢٣، القاضي أطهر، العقد الثمين، ص١٩٥-ص٢٠٤.

ويتضح من الروايات أن المهالبة لم ينسوا ما حل بهم من مذابح ونكبات وتهميش على أيدي الأمويين، وأنهم بدأوا يستعيدون بعض نفوذهم المفقود، كما يتضح من الروايات أيضًا أنهم تعاونوا مع دعاة العباسيين للقضاء على الدولة الأموية؛ فثاروا على ولاتهم في السند[١]، وفارس والأهواز سنة ١٢٩ هـ/٧٤٨ م[٢]. وانضم بعضهم إلى أبي مسلم الخراساني في قتال جيوش الأمويين[٣]. كذلك انخرطوا في صفوف الدعوة العباسية، وصاروا من أخلص أعوان دعاتها بالعراق حتى حققت أهدافها بالقضاء على الدولة الأموية؛ فعندما ظهر أمر أبي سلمة الخلال بالكوفة، عهد إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب إعلان الثورة في البصرة على واليها الأموي، فلبس السواد شعار العباسيين وأظهر دعوتهم، وحارب والي البصرة واستولى عليها[٤].

(هـ) علاقة المهالبة السياسية بجرجان واستيطانهم بها خلال العصر العباسي

لم ينس العباسيون للمهالبة دورهم المهم في دعم ثورتهم على الأمويين، فحسن رأيهم فيهم، ووثقوا بهم، وقربوهم إليهم ورفعوا منزلتهم لديهم؛ للاستفادة من قدراتهم الحربية والإدارية التي اشتهروا بها في ظل الدولة الأموية. ومن مظاهر تقدير العباسيين للمهالبة أن الخليفة السفاح كافأ سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على جهوده وبلائه في نصرة العباسيين، فأسند إليه ولاية البصرة، ورد إليه ضياع جده يزيد بن المهلب التي صادرها الأمويون بالبصرة بعد نكبتهم للمهالبة[٥]. كما اعتمد خلفاء العصر العباسي الأول على المهالبة أيضًا كقادة للجيوش وولاة للأقاليم التابعة لهم، وبرز منهم: روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وكان من وجوه دولتهم، وقد ولي لخمسة من حكامهم، وهم: أبو العباس السفاح، والمنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد[٦]. ومن المهالبة أيضًا: يزيد

١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥٤.

٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٩.

٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٤١، عبد المنعم سلطان، آل المهلب العمانيون، ص١٣٣.

٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٤٥، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٦٠.

٥) البلاذري، فتوح البلدان، الصفحات: ٥١١، ٥١٤، ٥٤١، العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٦٠.

٦) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، نشر المنجي الكعبي، الطبعة الأولى، تونس، ١٩٦٨م، ص١٧١-ص١٨١، ابن

ابن حاتم بن قبيصة، وكان كثير الشبه بجده المهلب في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه[١]، وكان كما يذكر ابن الأبار خاصّا بالخليفة أبي جعفر المنصور، وكان لا يحجب عنه، وقد تقلد ولايات كثيرة قبل قدومه إلى إفريقية سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٢م، منها: أرمينية، والسند، ومصر، وأذربيجان وغير ذلك[٢]. كذلك أسند العباسيون إلى بني حاتم بن قبيصة بن المهلب ولاية إفريقية، فحكموها أكثر من ربع قرن من الزمان (١٥١- ١٧٨هـ/ ٧٦٨-٧٩٤م) وهي فترة من أعصب فترات إفريقية قبل استقلالها على يد الأغالبة[٣].

ونستدل من الروايات أن علاقة المهالبة السياسية بجرجان لم تنقطع في عصر الدولة العباسية، فقد قلد الخليفة محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ولايتها، فأثبت كفاية إدارية ومقدرة عسكرية مثل والده يزيد ابن حاتم وعمه روح بن حاتم، وظل بها حتى عهد الخليفة موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م)[٤]. ويبدو أن ولاية خالد بن يزيد لجرجان كانت ولاية عامة، فقد كان قائدا لجندها وصاحب خراجها[٥]. ويتضح من الروايات أنه اصطحب بعض أقاربه المهالبة البصريين معه، ومن بينهم: أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب، وأخوه عبد الله بن محمد، وغيرهم من الأزد ومواليهم، فكانوا في جملة جيشه الذي خرج به إلى جرجان. ويتضح من الروايات أيضًا أنه أسند إلى هؤلاء المهالبة بعض المناصب الإدارية والعسكرية بها[٦]. وجدير بالذكر أن علاقة أبي عُيينة بن محمد المهلبي ساءت بخالد بن

حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٧٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٢، ص٣٠٥ ص٣٠٦، م٦، ص٣٢٦، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٢٧٥.

١) ابن الأبار البلنسي، الحلة السيراء، حققه وعلق على حواشيه: د. حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، رقم٢٠، ص٧٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٣٢١- ص٣٢٥.

٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١ ص٧٣، البطّاشي، تاريخ المهلب القائد، ص١٥٢- ص١٥٩.

٣) عن دولة المهالبة في إفريقية، راجع: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، تراجم ٢٠-٢٣، ص٧٢-ص٨٢، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨م، ج١، ص٣٥١-ص٣٧٨، العبود، آل المهلب بن أبي صفرة، ص١٧١-ص٢١٤.

٤) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج٢٠، ص١٠٧- ص١١٨، السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٨، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٧٠.

٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، الصفحات: ١٠٧، ١٠٨، ١١٨.

٦) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠ ص١٠٧-ص١٢٠.

يزيد لتقتيره معه، فهجاه وقرر قتله، غير أنه تراجع عن ذلك لمكانة والده يزيد بن حاتم كأحد وجوه بني المهلب، وكان كريما معه، ولكنه انتهز ولاية موسى الهادي الخلافة وسعى في عزله عن منصبه بالتشنيع عليه عنده، فكتب إلى أحد أقاربه المهالبة، وكان يخدم في بلاط الخلفاء ببغداد، قصيدة شعرية يؤلب فيها الخليفة الهادي على والي جرجان، ويلتمس منه السماح له بالعودة من جرجان، جاء فيها (الخفيف):

قل لموسى يا مالك الملك طـــوعًا بقيادِ وفي يديـــك العنـــانُ
أنت بحـــر لنا ورأيـــك فينـــا خيـــرُ رأي رأى سلطـــان
فاكفنا خالداً فقد سامنا الخسفَ رمـــاه لحتفـــه الرحمـــن

فوافق الخليفة على طلبه، وأقفله من جيش خالد إلى العراق[1].

وجدير بالذكر أن علاقة المهالبة بجرجان لم تنقطع مع ذويهم بالعراق، فقد كان البريد يحمل الرسائل المتبادلة بينهم، ليطمئن كل منهم على أحوال الآخر، فالأصفهاني يذكر أن داود بن محمد المهلبي أخا الشاعر أبي عُيينة قد تزوج وهو غائب بجرجان، فكتب إليه يخبره بذلك، وكتب إليه أيضًا بسلامته وسلامة أهل بيته، وبعض أخبارهم، ومطالبهم منه[2]. كما ورد إلى أبي عيينة أيضًا كتاب آخر من بعض أهله يخبرونه بوفاة أحد إخوته[3]. ونستدل من إحدى روايات الأصفهاني أن بعض المهالبة خرجوا من العراق إلى جرجان في أثناء ولاية خالد بن يزيد، فقد أشار إلى خروج داود بن محمد المهلبي إلى أخيه أبي عيينة بجرجان، فمات في الطريق[4].

ومن المرجح أن ولاية خالد بن يزيد المهلبي لجرجان قد حفزت بعض أقاربه خاصة ممن كان لأسلافهم علاقة وطيدة بها، على الخروج إليها، والاستقرار

١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١١٧-ص١١٨.
٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١٠٩.
٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١٠٢.
٤) نفسه.

فيها، ومنهم: أولاد مخلد بن يزيد بن المهلب، وقد أصابه الطاعون بدابق ومات بها سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، ولديه من العمر ٢٧ سنة[١]. فهؤلاء لم تات نكبة المهالبة في العقر وقندابيل عليهم، لصغر سنهم حينئذ، فالسهمي يذكر "وكان لمخلد بن يزيد ابن يقال له خداش، وله ابن يقال له مخلد بن خداش، ولهم أثر بجرجان وخراسان"[٢]. ومنهم أيضًا: بعض أبناء أبي عيينة بن المهلب، فقد انتقلوا للإقامة بجرجان واتخذوها مستقرًا لهم ولأولادهم، وقد فشا نسلهم وتكاثروا بها[٣].

رابعًا: دور المهالبة الثقافي بجرجان:

١/٤ مقدمات الدور الثقافي للمهالبة بجرجان:

لم يمكث يزيد بن المهلب طويلًا في جرجان بعد فتحها في سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م، فالسهمي يذكر أنه مكث بها سنة واحدة، وعند وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز[٤]. ونستدل من الروايات أن بقاء يزيد بن المهلب بجرجان نفسها كان أقل من السنة التي أشار إليها السهمي، فقد خرج منها لفتح طبرستان قبل عزله[٥]. غير أن المدة التي قضاها بها كانت مليئة بالأعمال والمنجزات المُهمة التي تعد مقدمات لدور المهالبة الثقافي هناك؛ وأساسًا قويًا لحركة فكرية واسعة، متمثلة في نشر الإسلام، وتعليم اللغة العربية؛ فقد بنى جرجان في وادٍ عظيم يطل على البحر والجبال، ولم تكن بُنيت قبل ذلك، إنما كانت منطقة جبلية وعرة، يحيط بها سور من آجر، وأحد طرفيه في البحر، ولها مسالك وأبواب[٦]، وسورّها بسور حصين لحمايتها من المغيرين عليها، واختط بها نحو أربعين مسجدًا أولها المسجد الجامع، ورتب منازل القبائل بخططها، وأباح لشيوخ القبائل من قادة جيشه أن يشيدوا مساجد لهم، فاختط كل واحد

١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦ ص٥٥٧، ابن أعثم، الفتوح، م٤ ص٢٣٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٢٨٦-ص٢٨٧.
٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٢.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٢.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٩.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٠.
٦) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٠٠، البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩-ص٤٧٠، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٩، Donner, the Early Islamic Conquests, p.51.

منهم مسجداً لنفسه، وجميع هذه المساجد معروفة بجرجان، ويقع بعضها داخل قصبتها وبعضها الآخر في المربض[١].

ولم يكن يزيد بن المهلب فاتح جرجان وبانيها فحسب، بل كان أيضًا من الدعاة بها إلى الإسلام. يؤكد ذلك حرصه على بناء المساجد الكثيرة بها في مدة زمنية قصيرة؛ لما للمساجد من دور مهم في تحويل المدن المفتوحة إلى مدن إسلامية، ونشر الإسلام بين سكانها الأصليين. كذلك قام يزيد بن المهلب ورجال جيشه من الفقهاء والتابعين، ومن أبرزهم: كرز بن وبرة الحارثي الزاهد العابد، وكان قد اتخذ لنفسه مسجداً في طرف سليمان أباد[٢]، وقام بدور مهم في نشر الإسلام ومبادئه التي تنطوى على الإخاء والمساواة والعدل بين الجرجانيين، وإقناعهم بها، فأسلم كثير منهم على أيديهم، نذكر منهم: صول أحد رؤساء جرجان السابقين الذي اهتدى إلى الإسلام واقتنع بمبادئه. فالسهمي يذكر أنه سأل يزيد بن المهلب حين افتتح جرجان عن أَجَلِّ شخصية مسلمة ليسلم على يده، فأرسله إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك، فلما قدم عليه بالشام دله على قبر الرسول ﷺ بالمدينة، ليسلم عنده لفضله، فأسلم صول الجرجاني عند القبر ثم انصرف إلى بلده وقد حَسن إسلامه، وصحب يزيد بن المهلب وصار من أخلص أعوانه[٣]، مما يبرز دور يزيد بن المهلب في هداية بعض الجرجانيين خاصة رؤسائهم إلى الإسلام.

وكان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من التابعين، رضوان الله عليهم أجمعين[٤]. وقد لقى الصحابي الجليل أنس بن مالك، -رضي الله عنهما، وسمع منه، وروى عنه بعض الروايات، منها قول الرسول ﷺ: "قلّ ما استلحق قوم رجلا إلا ورثهم"[٥]، رواه الطبراني[٦]، وقد خطب يزيد بن المهلب في أصحابه، ومنهم: يونس بن أبي

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٩.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، الصفحات: ٤٩، ٣٣٦-٣٥٩.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٨١، ص٢٣٦.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٩.

٥) السهمي، تاريخ جرجان ، ص٥٢.

٦) الطبراني، المعجم الأوسط، حققه أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م، ج٢، رقم١٣٩٤، ص١٠٤، الهيثمي، مجمع الزوائد، م٤، ص٢٢٧، الهيثمي، مجمع البحرين في زوائد المعجمين المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني، تحقيق ودراسة: عبد القدوس

إسحاق السبيعي بطبرستان في عام ٩٨هـ/ ٧١٦م، خطبة عصماء، وحدّثهم فيها بهذا الحديث الشريف. ونستدل من رواية الطبراني أن أحد الفقهاء قد جرّح رواية يزيد ابن المهلب لهذا الحديث، فقال في مجلس حضره عيسى بن موسى: "لو كان هذا الحديث عن غير يزيد"، فقال عيسى: "كان يزيد أشرف من أن يكذب في الحديث"[١]. ويدل ذلك على روايته للحديث الشريف، وصِدقه في روايته، خاصة وقد صحب بعض التابعين ممن التحق بجيشه وكانوا من جملة جنده، كما حدّث يزيد بن المهلب أيضًا عن أبيه المهلب، وعمر بن عبد العزيز قبل أن يلي الخلافة، وقد روى عن يزيد ولده عبد الرحمن بن يزيد، وأخوه أبو عيينة بن المهلب، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم [٢].

وجدير بالذكر أن روايات يزيد بن المهلب الحديثية قد انتشرت وتناقلها الفقهاء وطلاب العلم بجرجان، وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى خاصة العراق وخراسان، فقد كان يزيد واليا عليهما. فالسهمي يذكر نقلًا عن شيوخه ببغداد عن مهدي بن هلال البصري أن يزيد بن المهلب قال: "أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه: إني إذا ذكرت عملاً صالحًا (في الآباء) حفظت فيهم الأبناء، سل الأبناء: هل أطاعني منهم أحد فشقي بطاعته أو عصاني فسعد بمعصيته؟"[٣].

٢/٤ إسهام المهالبة في العلوم الدينية بجرجان:

ظهرت حاجة المسلمين إلى العلوم الدينية لخدمة أغراض عملية تتعلق بالتشريع؛ لذلك عرفت باسم العلوم الشرعية أيضًا، وأهمها: الفقه، وعلوم القرآن الكريم، والحديث. وقد اشتغل بعض مهالبة جرجان بهذه العلوم، وبرزوا فيها:

١/٢/٤ الفقه:

هو العلم الذي يبحث في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها، وقد

بن محمد نزير، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٠م، ج٤، رقم٢٢١٩، ص١٣٨-ص١٣٩.

١) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٢، ص١٠٤، السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٢، الهيثمي، مجمع البحرين في زوائد المعجمين، ج٤، ص١٣٩.

٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦، ص٢٧٩.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٣، ص٥٤.

أفاد في ذلك من علمي التفسير والحديث اللذين نشأا وتطورا معه. وقد بدأت الحركة الثقافية التي غرس يزيد بن المهلب ورجال جيشه من الفقهاء والتابعين بذرتها، تأخذ مظهرها الحقيقي بجرجان في القرنيين الثالث والرابع الهجريين، بفضل الأعداد الهائلة من العلماء، فكثرت المؤلفات وازدحمت المساجد والمجالس بالحلقات العلمية المختلفة، مما عمل على إشعال الجذوة العلمية. وكان للفقهاء مكانة عظيمة في نفوس أهل جرجان، فكانوا يُجلّونهم ويرجعون إليهم في كافة أمورهم الدينية، وفي ذلك يقول المقدسي: "ورسمهم بجرجان أن التذكير للفقهاء وأهل الروايات[١]، وكانوا يسُّمون العالم معلمًا[٢].

وكان إبراهيم بن هانئ بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن المهلب بن أبي عُيينة بن المهلب بن أبي صفرة (ت٣٠١هـ / ٩١٣م) أشهر الفقهاء المهالبة في جرجان، وكان كما يصفه السهمي من العلماء والزهاد[٣]. وقد تتلمذ على مشاهير شيوخ عصره ومنهم: إسماعيل بن زيد الجرجاني وكان من كبار الفقهاء الشافعية[٤]. وقد حدّث إبراهيم بن هانئ تلاميذه بجرجان بما سمعه من روايات شيخه إسماعيل بن زيد الجرجاني، منها: ما سمعه عن أسانيده عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: كان النبي، ﷺ، إذا تعارّ - استيقظ- من الليل قال: "لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار"[٥]، وهو حديث إسناده صحيح، رواه الإمام ابن السني في كتابه "عمل اليوم والليلة"، والإمام النووي في كتابه "الأذكار" باب "ما يقول إذا استيقظ في الليل وأراد النوم بعده"[٦].

وكان حمدان بن عمر الجرجاني من شيوخ ابن هانئ الذين سمع منهم وحدّث

١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٣.
٢) المقدسي، نفس المصدر، ص٢٨٣.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٣٩ ص١٣٣، السمعاني، الأنساب، ج٥ ص٤١٩.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٦٢ ص١٤٣.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٦٢ ص١٤٣-ص١٤٤.
٦) النووي، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، راجعه و خرّج أحاديثه محمد محمد تامر، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون تاريخ، ص١٠٠.

عنهم. وقد حدّث ابن هانئ عن شيخه عن أسانيده عن أبي صالح عن تميم الداري أن النبي، ﷺ، قضى باليمين مع الشاهد[١]. وتتلمذ ابن هانئ أيضًا على يد عبد الوهاب بن علي بن عمران الجرجاني وحدّث عنه، ويذكر السهمي نقلا عن أبي بكر الإسماعيلي تلميذ ابن هانئ أنه حدّث عن عبد الوهاب بن علي الجرجاني عن أسانيده عن يونس بن أبي الفرات الإسكافي البصري عن قتادة عن أنس بن مالك أنه قال: "ما علمت النبي، ﷺ، أكل على سكرجة قط، ولا خبز له مرقق قط، ولا أكل على خوان"، قيل لقتادة: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على السُفر. أخرجه البخاري والترمذي وغيرهما بإسناد صحيح، وهو حديث حسن غريب[٢].

كما تتلمذ ابن هانئ على يد أحمد بن منصور الرمادي (ت٢٦٥هـ/ ٨٧٩م) وكان ثقة حافظًا [٣]، وأخذ منه كما يذكر السهمي كثير من الروايات، وللأسف لم يحتفظ لنا السهمي ولا غيره ممن ترجموا لابن هانئ بأي رواية منها، بينما احتفظ -أي السهمي- بكثير من روايات أحمد بن منصور الرمادي التي سمعها منه فقهاء جرجانيون آخرون ورووها عنه[٤]. وسمع ابن هانئ أيضًا من شيخ الإسلام إمام أهل زمانه عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي السمرقندي صاحب "السنن" (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)، وكان من الحفاظ المتقنين[٥]، وروى عنه كما يذكر ابن عدي

---

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٠١، ص٢٠٤ ص٢٠٥.

٢) البخاري، صحيح البخاري، طبعة الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، ١٩٩٣م، م٣، ج٧، ص٩١، الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٤، رقم١٧٨٨ ص٢٥٠، الترمذي، شمائل النبي ﷺ، حققه وخرّج أحاديثه ماهر ياسين فحل، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، رقم١٤٧ ص٩٨، ابن ماجه، السنن، ج٢، رقم ٣٢٩٢ ص١٠٩٥، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، قرأها ودققها على المخطوطات يحيى مختار عزاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م، ج٣ ص١٢٣٣، السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٩٩ص٢٤٨-ص٢٤٩.

٣) عن ترجمته، راجع: وكيع، أخبار القضاة، مراجعة سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، عام الكتب، بيروت، ٢٠٠١م، صفحات كثيرة متفرقة، الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عَمّان، ١٩٨٤م، رقم ١٠٦٢ص٩٥، ابن حجر، تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م،ج١ ص٢٦.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣، السمعاني، الأنساب، ج٥ ص٤٢٠، ابن الأثير، اللباب، ج٣ ٢٧٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج١٤ ص١٩٤.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣، الذهبي، نفس المصدر، ج١٤ ص١٩٤. والدارمي نسبة إلى دَارِم بن مالك بطن كبير من تميم. وهو شيخ الإسلام بسمرقند، وقد صنف كتبًا أخرى غير السنن منها: التفسير، والجامع. عن ترجمته، راجع: السهمي، تاريخ جرجان، ص٤١٢ص،١٩١، السمعاني، الأنساب، ج٢ ص٤٤٠، ابن الأثير، اللباب، ج٣ ص٢٧٦، الذهبي،

عدة روايات منها: رواية عن شيخه محمد بن عيينة عن أسانيده عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك أنه قال: كان رسول الله إذا كان في سفر من أسفاره فصلى الفجر أخذ مقود راحلته ثم مشى هنيهة [١]. ويذكر أبو بكر الإسماعيلي أن ابن هانئ روى كذلك عن شيخه يعقوب بن إسحاق القلوسي عن شيوخه عن نافع عن ابن عمر أن النبي، ﷺ، قال: "البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا" [٢]، أخرجه عبد الرزاق والدارمي والشيخان، وغيرهم[٣].

وكان إبراهيم بن هانئ إمام الشافعية بجرجان في وقته[٤]، ولقد أسهم في نشر المذهب الشافعي فيها، وأكثر من رواية الحديث شأنه في ذلك شأن كبار الفقهاء الشافعية الذين اهتموا بالحديث وأخذوا به، حتى لا ترى بجرجان صاحب حديث إلا شافعيًا، كما صار مصطلح "أصحاب الحديث"، و"مذهب الحديث" في جرجان وخراسان يدل على المذهب الشافعي، إلا إذا ذكر بقرينة[٥]. وتتلمذ على يديه جمع غفير من أهل جرجان وغيرها من البلدان الإسلامية، وقد أصبح بعضهم من أعلام المذهب الشافعي في المشرق الإسلامي وتبوؤوا فيه مراتب عظيمة، ومن أبرزهم: أبو بكر الإسماعيلي وكفى به فخرًا، وتتلمذ عليه من صغره[٦]، والحافظ المتقن عبد الله بن عدي[٧]، والحافظ إسحاق بن إبراهيم

تذكرة الحفاظ، بعناية عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، م١، ج٢، ص٥٣٤-ص٥٣٥، سير أعلام النبلاء، ج١٤ ص١٩٤، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٥هـ، ج٥، ص٢٩٤-ص٢٩٦.

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣-ص١٣٤.

٢) أبو بكر الإسماعيلي، كتاب المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، دراسة وتحقيق: د. زياد محمد منصور، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٠م،ج٢، رقم ١٨٨، ص٥٥٣، السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣.

٣) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م،ج٨ رقم١٤٢٣-١٤٢٦، ص٥٠، الدارمي، سنن الدارمي، م٣، رقم٢٥٤٧ ص٣٢٥، البخاري، صحيح البخاري، رقم ١٩٦٩، وأخرجه ابن عدي من طرق أخرى (الكامل، ج١، ص٣١٦، ج٣ ص٣٤، ص١٣٣-ص١٣٤، ص٢٦٨).

٤) ابن قاضي شهبة، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: د. على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، ج١، رقم ٣٢، ص٥٧.

٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٠، ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، الطبعة الأولى، تحقيق: محي الدين على نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٦٥.

٦) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج٢، ص٥٥٣، السهمي، تاريخ جرجان، ص١٠٩،ص١٣٣، ابن الأثير، اللباب، ج٣، ص٢٧٦، ابن قاضي شهبة، طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، رقم ٣٢، ص٥٧.

٧) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣، وانظر أيضا: ص٢٦٦- ص٢٦٧.

بن محمد البحري الجرجاني (ت٣٣٧هـ/ ٩٤٦م)، الذى سمع منه وحدّث عنه، فقد أخذ منه رواياته عن شيخه إسماعيل بن زيد الجرجاني[١]، كذلك سمع منه عن شيوخه بعض الوصفات الطبية للتداوي بآيات القرآن الكريم، وسجلّها في كتابه الذى ألفه في الطب[٢]. ومنهم أيضًا: إبراهيم بن موسى السهمي الجرجاني (ت ٣٢٤ هـ/ ٩٣٥م) وتفقه على يديه للشافعي[٣] . كذلك تتلمذ ولده يوسف بن إبراهيم في صغره على ابن هانئ، وكان يحضر إليه من بكراباد؛ ليتفقه على يديه ويتعلم مذهب الشافعي[٤]. ومن تلاميذه أيضًا: محمد بن جعفر بن خازم الفقيه الشافعي (ت٣٢٤ هـ/ ٩٣٥م)، وقد سمع منه وروى عنه، وقد أصبح هذا العالم كما يصفه معاصروه أفقه شيوخ عصره[٥]. ومن المرجح أن ابن هانئ كان يعقد حلقاته العلمية ويجلس لتلاميذه ومريديه في مسجده الذي شيّده لله بجرجان، وكان يقع في داخل محلة مسجد دينار بجوار منزله. ونظرًا لشهرة هذا الفقيه العالم على ما يبدو فقد عُرفت السكة المؤدية إلى مسجده ومنزله باسمه "سكة أبي عمران بن هانئ"، وظلت هذه التسمية حتى زمن السهمي (الربع الأول من القرن الخامس الهجري)[٦].

ومن المهالبة كذلك الفقيه أبو ذر جندب بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن (ت٣٨٦هـ / ٩٦٦م) ممن اشتهر بالفقه الشافعي في القرن الرابع بجرجان. وكان كما يصفه السهمي فقيهًا كريم النفس متدينًا [٧]. ويتضح من قائمة شيوخه أنه تتلمذ على يد كوكبة كبيرة من العلماء الجرجانيين والغرباء والمقيمين بها وروى عنهم، نذكر منهم: أبو يعقوب البحري ومحمد بن الحسين بن ماهيار وحمزة العقبي وأحمد بن سهل القطان ودعلج والطلحي الكوفي ونعيم،

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٤٣-ص١٤٤. عن ترجمته راجع: أبو بكر الإسماعيلي، المعجم،ج٢، رقم٢٠٦، ص٥٧٤-ص٥٧٥، السهمي، تاريخ جرجان، رقم١٩١، ص١٦٤، السمعاني، الأنساب، ج١، ص٢٩٠ ص٢٩١، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٨٧٨.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٢٩.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم١٤٦، ص١٣٦، السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٣٤٥، الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص١٩٤.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٠٩.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٨٠٤، ص٤٣٧.

٦) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤١٩.

٧) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٢٤٢، ص١٨٢.

وغيرهم. كما كان والده أحمد بن عبد الرحمن معلمه الأول، فقد تتلمذ على يديه وسمع منه أخبارًا وروايات كثيرة عن جده الفقيه المحدّث عبد الرحمن بن عبد المؤمن، ومنها رواياته عن شيوخ جده، ومنهم: عيسى بن محمد بكير السلمي[١]، ومحمد بن عبدك الخراساني[٢].

ورغم أن السهمي قد أسهب في ذكر شيوخ أبي ذر جندب المهلبي، فإنه أطنب في تعريفنا بتلاميذه الذين تلقوا العلم على يديه. ويبدو أنه -أي السهمي- كان من تلاميذه الذين التفوا حوله وتلقوا العلم على يديه ورووا عنه، فهو يذكر أنه سمع من شيخه أبي ذر جندب عن شيخه أبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي عن أسانيده عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، تفسير النبي، ﷺ، لقوله تعالى: (لها سَبعَةُ أبوابٍ لكُلِ بَابٍ مِنهُم جُزءٌ مَقسُومٌ) الآية [٣]، بأنهم "جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله"[٤]. كما سمع السهمي من شيخه أبي ذر جندب كذلك روايات والده عن جده، وشيوخ جده[٥].

ولم يكن نجباء بيت المهلب بجرجان من الرجال فحسب، بل شاركتهم النساء في النجابة أيضًا. ومن أشهرهن الفقيهة أم الفضل هبة العزيز بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن المُهلبية أخت أبي ذر جندب بن أحمد. ومن المرجح أنها تتلمذت على يد والدها أحمد بن عبد المؤمن بن عبد الرحمن، وأنه كان معلمها الأول. ولاشك أنها سمعت منه - مثل أخيها أبي ذر جندب - أخباراً عن جدهما عبد الرحمن بن عبد المؤمن ومشاهير علماء بيت المهلب وغيرهم من فقهاء جرجان ورواياتهم. ويتضح من الروايات أنها أسهمت في الحياة العلمية ببلدها جرجان بفعالية كبيرة، فأخذت عن شيوخ عصرها بجرجان وغيرهم من العلماء الوافدين عليها من الأقطار الإسلامية الأخرى. فقد سمعت من الفقيه المُحدّث علي بن

---

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٩٥، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤٢٠.

٢) السهمي، نفسه، ص٨٥، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤٢.

٣) سورة الحجر، آية٤٤.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٢٤٢، ص١٨٢.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص٨٥-ص٢٩٥، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٢.

محمد بن حاتم بن دينار بن عبيد القومسي مولى بني هاشم (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) بجرجان في سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م، وكان صدوقًا في رواياته، وروت عنه روايات كثيرة، منها ما رواه عن شيوخه عن أسانيدهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي، ﷺ، قال: "ليس الخبر كالمعاينة" [١]، وهو حديث صحيح من الأحاديث المشهورة على الألسنة[٢].

ونستدل من إحدى الروايات أن علاقة هبة العزيز العلمية بأخيها أبي ذر جندب بن أحمد كانت متينة، وأنهما كانا يتدارسان العلوم الفقهية وروايات شيوخهما معًا. فقد أخبرت هبة العزيز بنت أحمد تلاميذها، ومنهم: السهمي نفسه، وقد روى عنها كثير من الروايات، بقراءة أخيها أبي ذر جندب عليها رواية شيخها علي بن محمد بن حاتم القومسي عن أستاذه أحمد بن النعُمان الحمصي أحد الأحاديث النبوية الشريفة عن فضل تعليم الشيوخ القرآن الكريم لتلاميذهم والثواب العظيم الذي ينالونه من وراء ذلك، فعندما مر إسماعيل بن عياش الحمصي أحد رواة الحديث الشاميين بمجلس علم يقرأ فيه الفقيه أزهر بن عقيل القرآن لتلاميذه، خاطبه بقوله: "يا أزهر! علّم وأبشر"، فإن محمد بن زياد الألهاني حدثنا عن أبي أمامة الباهلي أن النبي، ﷺ، قال: "من علم عبدًا (رجلًا) آية من كتاب الله فهو مولاه، لا ينبغي له أن يخذله ولا يستأثر عليه، فإن فعل فقد فصم عروة من عرى الإسلام"[٣]. وهو حديث موضوع اشتهر على الألسنة [٤]. وأخرجه ابن عدي من طريق عبيد بن رزين الألهاني، وهو مما انفرد به عبيد بن رزين عن إسماعيل بن عياش[٥]. ومما لاشك فيه أن هبة العزيز المهلبية عملت لكي تنال ثواب تعليم القرآن كما بشر به الرسول، ﷺ، وفقا للحديث الذي سمعته عن شيخها وروته بدورها لتلاميذها، فحرصت على تعليمهم قراءة القرآن وتفسيره، كما روت لهم ما سمعته وتعلمته على يد شيوخها.

---

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم١٠٢٧، ص٥٠٥.

٢) الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصبّاغ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٥م، رقم٨٤٦، ص١٨٩.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٠٥.

٤) الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة، رقم١٠٥٦، ص٢٢٠.

٥) ابن عدي، الكامل،ج١، ص٢٩٦.

ومن الفقهاء المهالبة أيضًا عبد الرحمن بن محمد بن حمدان المشتوتي، وكان من وجوه فقهاء جرجان وعلمائها، ويذكر السهمي أنه تقلد منصب القضاء بها[١]. ويبدو أنه تتلمذ شأن أبناء العلماء على يد والده الفقيه محمد بن حمدان وأخذ منه وروى عنه. ويتضح من الروايات أنه درس على مشاهير علماء بلده وروى عنهم، ومنهم: أبي نعيم الإستراباذي ويحيى بن محمد بن صاعد[٢].

٢/٢/٤ علم الحديث:

اتجهت همة أهل جرجان إلى دراسة علم الحديث منذ زمن مبكر من تاريخهم؛ لأهميته كمصدر ثان للتشريع الإسلامي، ولما يلقيه من أضواء على سيرة النبي، ﷺ. وقد بلغ الجرجانيون الغاية في هذا العلم، ونبغ منهم طوائف من العلماء ألفوا فيه مصنفات مشهورة. ويزخر كتاب تاريخ جرجان للسهمي بتراجم هؤلاء المحدثين وإسهاماتهم العلمية، وسوف نتعرض لبعضهم في ثنايا هذا البحث. وكان محمد بن مخلد (خالد) بن خدّاش بن مخلد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من المهالبة الذين اشتهروا بالعلم في جرجان. ويتضح من الأخبار القليلة التي عثرنا عليها في المصادر المتاحة بين أيدينا أنه تتلمذ على فقهاء عصره بجرجان، كما أخذ عن والده مخلد بن خداش رواياته عن شيوخه، ومنها: الحديث الشريف الذى رواه جده يزيد بن المهلب عن أنس بن مالك. وقد تتلمذ بعض طلاب العلم الجرجانيين وغيرهم ممن وفدوا على جرجان ليتتلمذوا على علمائها، على يد محمد بن مخلد بن خداش، فأخذوا منه ورووا عنه، ونذكر منهم: محمد بن أحمد بن ماهان الأيلي[٣]، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) صاحب كتاب "غريب الحديث"[٤]، ويعقوب بن يوسف بن الحكم الجوباري الجرجاني (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) المعروف بتنبلة شيخ أبي بكر الإسماعيلي وعبد الله ابن عدي

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٤٢٢، ص٢٦٠.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٦٠.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٢.

٤) ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، صنع فهارسه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٥٤.

الجرجانيين[١]. ولاشك أنه حدّثهم برواياته الحديثية والتاريخية التي سمعها عن شيوخه خاصة تاريخ بني المهلب وإسهاماتهم العظيمة في الفتوحات الإسلامية وإعلائهم راية الإسلام. يؤيد هذا التخريج أنه سليل هذه الأسرة، كما أن تلميذه ابن ماهان الأيلي قد روى عنه عن شيوخه الحديث النبوي الشريف الذي رواه جده يزيد بن المهلب في ثنايا خطبة فتح طبرستان[٢]، كذلك يذكر ابن قتيبة الدينوري أنه سمع منه عن أبيه مخلد بن خداش بعض أخبار يزيد بن المهلب فيما رواه عن نفسه، منها: حديث عمر بن عبد العزيز ونصيحته له حين قلّده الخليفة سليمان بن عبد الملك ولاية العراق في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، بتقوى الله والعمل لما بعد الموت، فقد قال له: "فإنا لما دفنا الوليد -يقصد الخليفة الوليد بن عبد الملك- ركض في لحده"، أي ضرب برجله الأرض[٣].

وكان الفقيه المُحدّث خالد بن يزيد بن عبد الله بن المهلب رأس بيت من مشاهير المحدثين المهالبة الذين ينتسبون إلى أبي عُيينة بن المهلب بن أبي صفرة بجرجان. وللأسف فقد ذكره السهمي بين علماء جرجان دون أن يترجم له، فقد اكتفى بذكر اسمه في موضع ترجمته في حرف الخاء فحسب[٤]. غير أننا عثرنا على نص في ترجمة أحد علماء جرجان هو محمد بن أبي حماد التلوجي المتطبب الجرجاني يتضح منه أن خالد بن يزيد كان فقيها محدثاً، وأن بعض طلاب العلم الجرجانيين أخذوا منه وروا عنه منهم صاحب الترجمة المشار إليه[٥]. ولاشك أن ولديه هانئ وعبد المؤمن قد تتلمذا عليه وسمعا منه شأنهم في ذلك شأن أبناء العلماء في جرجان وغيرها من بلدان العالم الإسلامي الأخرى.

ومن رجالات المهالبة الذين اشتهروا بعلم الحديث في جرجان عبد المؤمن ابن خالد بن يزيد بن عبد الله بن المهلب بن عيينة. وكان كما يذكر السهمي قد تتلمذ

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٩٨٤، ص٤٨٨. وعن ترجمته، انظر: أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج١، رقم ٣٩٩، ص٧٩٤.

٢) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٢، ص١٠٤، السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٢، الهيثمي، مجمع البحرين في زوائد المعجمين، ج٤، ص١٣٩.

٣) ابن قتيبة الدينوري، نفس المصدر، ج٢، ص٢٥٤، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٤.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٢٠، ص٢٠٩.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٦٣٨، ص٣٨١.

على يد شيخه أبي محمد المذكور سابقا وسمع منه بعض رواياته وكتبها عنه، ومنها ما رواه عبد الله بن المبارك عن أسانيده عن النبي، ﷺ، أنه قال: "كثر ما يجد العبد في حسناته يوم القيامة الهم والحزن"، ولما سئل عبد الله بن المبارك هل كان النبي يقصد هموم الدنيا وأحزانها؟ قال: "إي والله! هموم الدنيا وأحزانها"[١]. ونستدل من رواية السهمي أن عبد المؤمن بن خالد كان - مثل معظم رجال الحديث - يدون الروايات والأخبار التي كان يسمعها في مجالس العلم وغيرها في كتب، وأنه قد ترك هذه الكتب لولده من بعده فاستفادوا منها، ونقلوا منها في كتبهم، فأسهموا بذلك في نشر هذه الروايات، وقد صار بعضها مصدرًا للسهمي نفسه في كتابه تاريخ جرجان[٢].

وكان الحافظ عبد الرحمن بن عبد المؤمن بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن المهلب ابن عيينة المهلبي (ت٣٠٩هـ/٩٢١م)، من أبرز علماء الحديث بجرجان؛ إذ كان كما يذكر السمعاني "من بيت الحديث وأهله" [٣]. ووصفه تلميذه أبو بكر الإسماعيلي إمام الشافعية بجرجان وابن ماكولا بأنه كان صدوقًا ثبتًا يعرف الحديث[٤]. وأكد ذلك ابن العماد الحنبلي بقوله: "وكان من الثقات الحفاظ والأثبات الأيقاظ" [٥]. وكان عبد الرحمن بن عبد المؤمن -كما يذكر الذهبي- من كبراء جرجان وعلمائها [٦]، وكان معاصرًا لابن عمه إبراهيم بن هانئ، وتتلمذا معًا على شيوخ عصريهما ورويا عنهم، نذكر منهم: عبد الوهاب بن علي بن عمران الجرجاني[٧]. وسختويه بن الجنيد الدباغ الجرجاني[٨] . كما كان معاصرًا للفقيه المُحدّث أحمد بن حفص السعدي الجرجاني المعروف بحمدان

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٩٦، ص٢٤٤-ص٢٤٥، ابن ماكولا، الإكمال، ج٦، ص١٢٦.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٤٥.

٣) السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤٢٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٣.

٤) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج٢، رقم٣٢٨، ص٧٠٥، السهمي، تاريخ جرجان، رقم٤١٥، ص٢٥٥، ابن ماكولا، الإكمال، ج٦، ص١٢٧، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ج٢، رقم٧٥٨، ص٧٥٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م، رقم٧٣١، ص٣١٨.

٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٢٥٨.

٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ج٢، ص٧٥٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٣١٨.

٧) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٩٩، ص٢٤٨.

٨) السهمي، تاريخ جرجان ، رقم٣٥٨، ص٢٢٤.

(ت٢٩٣ أو ٢٩٤هـ/ ٩٠٥ - ٩٠٦م)[١]، وزامله في مجالس العلم عند كثير من شيوخ أهل جرجان ورويا عنهم.

ومن شيوخ عبد الرحمن بن عبد المؤمن أيضًا الفقيه المحدث أحمد بن علي بن عمران الجرجاني (ت٢٥٣هـ/ ٨٦٦م)، وقد روى عنه عن شيوخه خبرًا أخلاقيًا مهمًا يخص طلاب الحاجات، فعن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبًا يسيرًا، فإنما له ما قدر له، ولا يأتي أحدكم صاحبه فيمدحه فيقطع ظهره"[٢]. كما سمع عبد الرحمن بن عبد المؤمن أيضًا من عدد آخر من فقهاء أهل جرجان ومحدثيها وروى عنهم، منهم: إدريس بن إبراهيم الرويشي الجرجاني[٣]، وسعد بن يزيد الجرجاني[٤]، وعمران بن موسى الطبري[٥]، وسليمان بن داود بن أبي الغصن الجرجاني نزيل الري وكان صاحب حديث مكثر[٦]، وإبراهيم بن موسى الوزدولي الحنفي وكان شيخ أصحاب الرأي في جرجان في عصره. وقد روى ابن عبد المؤمن عنه عن شيوخه عن موسى بن زياد بن الديلم عن الحسن البصري حديثاً مهماً للرسول، ﷺ، يوضح فيه أن التواضع خصلة من خصال العلماء الحسنة، فالرسول، ﷺ يقول: "من زعم أنه عالم فهو جاهل"[٧]. كما تتلمذ على يد ابنه الحافظ الصدوق إسحاق بن إبراهيم العصار الجرجاني (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، وكان من أصحاب الحديث الثقات فيما يروون، وكان قد صنف كتبًا وسيرًا كثيرة من أشهرها كتاب المسند [٨]، وروى عبد الرحمن بن عبد المؤمن أيضًا عن

١) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج١، رقم٣٣، ص٣٥٥-ص٣٥٦، السهمي، نفسه، رقم١٧، ص٧١، سؤالات حمزة بن يوسف السهمي للدارقطني وغيره من المشايخ في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله عبد القادر، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٤م، رقم ١٤٠، ص١٤٥، السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٢٥٦-ص٢٥٧.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٦٣ ص٦٤.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٢٠٠، ص١٦٧.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٤٣، ص٢١٩.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٥٧٩، ص٣٢٣.

٦) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٥٠، ص٢٢١.

٧) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٢٨، ص١٢٨-ص١٢٩، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٥٩٨، حبيب أحمد الكيرانوي، أبو حنيفة وأصحابه، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٤٠. وانظر أيضا: أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج١، رقم ٣٧، ص٣٦٠-ص٣٦١.

٨) السهمي، تاريخ جرجان، رقم١٨٨، ص١٦٢. وانظر أيضا: ص١٢٩، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٥٩٨، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ج٢، رقم٥٨٥، ص٥٦٢، السيوطي، طبقات الحفاظ، رقم٥٤٩، ص٢٤٣، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص١٤٠.

إبراهيم بن عبد الله الخزاف الجرجاني المعروف بالقصير[١]، وإسماعيل بن إبراهيم الحريري الجرجاني (ت٢٤٧هـ/ ٨٦١م) وكان شيخًا صالحًا [٢]، ومحمد بن عبد الله بن الحسين العصار الجرجاني وكان أول من أظهر مذهب الحديث بجرجان[٣].

كما سمع عبد الرحمن بن عبد المؤمن من محمد بن بندار السباك وروى عنه، عن شيوخه عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر حديثاً غريباً للنبي، ﷺ، وهو "إذا تبسم الرجل في الصلاة تمت صلاته"[٤]. وأخرجه ابن عدي وقال: "وهذا الحديث عن ابن أبي ليلى غير محفوظ" [٥]. وسمع أيضًا عن عمار بن أبي عمار بعض الروايات عن شيوخه عن عبد الرحمن بن أبزي أنه صلى خلف عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فسمعه يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[٦]. وتتلمذ أيضًا على يد أحمد بن يحيى بياع السابري (ت٢٥٤هـ / ٨٦٨م)، وسمع منه وروى عنه روايات كثيرة، ومنها ما سمعه عن شيوخه بإسناد أن عكرمة سمع ابن عباس يقول: "لا ينبغي الصلاة من أحد على أحد إلا على النبي ﷺ"[٧]. كما تتلمذ على يد عبد المؤمن بن إبراهيم بن أبي حماد البزاز الجرجاني، وروى عنه عن شيخه أبي عمر الحوضي عن بعض العلماء تخريجًا مهمًا لقصة الهدهد المشهورة مع سليمان بن داود، عليهما السلام، التي وردت في سورة النمل[٨].

وقد بلغ عبد الرحمن بن عبد المؤمن مكانة علمية عظيمة في علم الحديث، ودَوّت شهرته في الآفاق، وأقبل عليه طلاب العلم الجرجانيون من كل حدب وصوب ينهلون من فيض علمه؛ يسمعون منه ويكتبون ويروون عنه، ونذكر منهم: علي بن محمد

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٣٢، ص١٣٠.
٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٦٠، ص١٤٣.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٦٢٧، ص٣٧٥ ص٣٧٦.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٩٣.
٥) ابن عدي، الكامل، ج٥، ص٢٥٧.
٦) السهمي، تاريخ جرجان، رقم١، ص٦٠-ص٦١. وعن ترجمة عمار بن عمار، انظر: السهمي، نفس المصدر رقم٤٨١، ص٢٨٢.
٧) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٤، ص٦٨-ص٦٩.
٨) سورة النمل، الآيتان ٢٠-٢١.

بن أحمد المعروف بأبي الحسن القصري (ت٣٦٨هـ / ٩٧٨م)، وقد روى عنه عن شيخه محمد بن حميد الرازي عن أسانيده خبرًا مهمًا يتعلق بصلاة القيام وعدد ركعاتها، فعن عبد الله أنه قال: "خرج النبي، ﷺ، ذات ليلة في رمضان فصلى الناس أربعا وعشرين ركعة وأوتر بثلاثة"[١]. وأبو أحمد الغطريفي[٢]، وإسماعيل ابن سعيد بن عبد الواسع الخياط الجرجاني (ت٣٦٦هـ/ ٩٨٠م) وكان شيخًا صالحًا ثقة [٣]. وإبراهيم بن موسى السهمي، وكان قد دوّن سماعه عنه في كتابه الذي صار مصدرًا مهمًا لحفيده السهمي في كتابه تاريخ جرجان[٤]. وكان الحافظ عبد الله بن عدي من أبرز أهل جرجان الذين تتلمذوا على ابن عبد المؤمن، وقد حَدّث تلاميذه برواياته، فاستفادوا منها فائدة عظيمة[٥]. وسمع منه أيضًا أبو بكر الإسماعيلي وحدّث عنه، وقد احتفظ في معجمه بأحد الأحاديث النبوية التي سمعها منه برواية شيخه الرازي عن شيخه زافر بن سليمان القوهستاني عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك أنه قال: لما كان صبيحة يوم احتلمت، ذكرت ذلك للنبي، ﷺ، فقال: "لا تدخل على النساء"، فما أتى عليّ يوم كان أشد عليّ منه[٦]، وهو حديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه، وأخرجه الخطيب والذهبي وابن حجر من طريق الرازي[٧]. وتتلمذ عليه أيضًا أبو الحسن أحمد بن موسى بن أحمد البخاري الجرجاني، وكان وكيلا للقضاة بجرجان (ت٣٦٨هـ/ ٩٨٢م)، فأخذ منه وروى عنه[٨]. وقد تتلمذ أهل بيت ابن عبد المؤمن على يديه، وروى بعضهم عنه، وكان من أبرزهم سبطه أبو عبد الرحمن محمد المشتوتي[٩].

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٥٥٦، ص٣١٦-ص٣١٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٣.
٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٣.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم١٦٦، ص١٤٦.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص٦٩.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص٦٠، ٢٥٥، ابن ماكولا، الإكمال، ج٦، ص١٢٧.
٦) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج٢، رقم٣٢٨، ص٧٠٥.
٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٩٥، الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، رقم٢٨١٩، ص٦٣-ص٦٤.
٨) السهمي، سؤالات حمزة بن يوسف السهمي، ص١٣٤ ص١٣٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٣.
٩) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٥٣-ص٢٥٥.

وأقبل أبناء عبد الرحمن بن عبد المؤمن على دراسة علم الحديث وتفوقوا فيه مثل أسلافهم المهالبة الجرجانيين. ونذكر منهم: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن، وكان كما يذكر السهمي فقيهًا محدثًا، وتتلمذ على يد عدد من شيوخ العلم بجرجان مثل محمد بن أحمد بن النضر وغيره وروى عنهم. وقد تحلّق حوله كثير من طلاب العلم، فسمعوا منه ورووا عنه. وقد دوّن بعض المهتمين من أهل جرجان بأخبار علمائها تاريخ وفاته ووصف مراسم دفنه واسم الإمام الذي صلى عليه صلاة الجنازة؛ فالسهمي يذكر أنه وجد في كتاب عمه أسهم بن إبراهيم بخطّه خبر وفاة عبد الله بن عبد الرحمن في شوال سنة ٣٣٧هـ/إبريل٩٤٩م، وأن الإمام أبا بكر الإسماعيلي قد أمّ الصلاة عليه[١]. ومنهم أيضًا: أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن، وقد تتلمذ على يد والده عبد الرحمن بن عبد المؤمن وسمع منه وروى عنه روايات بعض شيوخه، ومنها: خبرًا مهمًا عن حياة الرسول، ﷺ، الاجتماعية، رواه شيخ أبيه محمد بن عبدك الخراسانى بإسناد أن سعيد بن المسيب، رضي الله عنه، سأل السيدة عائشة، رضي الله عنها، عما كان يصنعه النبي، ﷺ، إذا آوى إلى بيته؟ فقالت: "يرقع ثوبه ويخصف نعله ويعالج سلاحه"[٢]. ونستدل من رواية للسهمي أن أبا بكر الإسماعيلي كان من تلاميذ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن، وقد سمع منه وحدّث عنه بروايات منها: حديث شيخه أحمد بن إبراهيم بن فيل عن شيوخه عن عبد الله عن النبي، ﷺ، أنه قال: "من جلب طعامًا إلى مصر من أمْصَار المسلمين كان له أجر شهيد" [٣]. وجدير بالذكر أن أبا بكر الإسماعيلي قد أغفل ذكر أحمد بن عبد المؤمن، فلم يذكره في معجمه ضمن شيوخه الذين أفاد منهم[٤] .

ومنهم أيضًا: محمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، وكان محدثًا ثقة[٥]. ويبدو أن هذا الفقيه قد تتلمذ على يد بعض شيوخ أهل جرجان

١) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج١ ص١٦٤، السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٤٤٨، ص٢٧٢.
٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٤، ص٨٥، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٢.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٨٤ ص٨٥.
٤) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج١، ص٢٠٠.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٦٧١، ص٣٩٨.

وسمع منهم وروى عنهم. وكان أحمد بن محمد بن مملك الجرجاني من تلاميذ محمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن، الذين تحلّقوا حوله ورووا عنه [١].

وواصل أحفاد الحافظ عبد الرحمن بن عبد المؤمن، وكان بعضهم من مشاهير علماء عصرهم، المسيرة العلمية لبيت المهلب بن أبي صُفرة بجرجان، وكانوا بحق خير خلف لخير سلف. وقد احتفظت المصادر بتراجم هؤلاء العلماء ونذكر منهم: علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن (ت٣٧١هـ/٩٨١م)، وكان بزازًا وفقًا للقبِه الذي أورده السهمي. وقد تتلمذ هذا الفقيه على يد جماعة من شيوخ أهل جرجان من أبرزهم: عبد الملك بن محمد بن عدي[٢]. ونستدل من الروايات أنه بلغ مبلغًا عظيمًا في علم الحديث وأصبح شيخًا من شيوخ عصره بجرجان، وذاع صيته في الآفاق، فالتف حوله طلاب العلم من أهل جرجان، كما توافد عليه وعلى غيره من شيوخ جرجان بعض طلاب العلم والشيوخ الوافدون يأخذون منه ويروون عنه نذكر منهم: السهمي الذي احتفظ بسماعه منه في كتابه تاريخ جرجان[٣].

ومن علماء الحديث النابهين بجرجان محمد بن حمدان بن محمد المشتوتي سبط الحافظ عبد الرحمن بن عبد المؤمن. وقد تتلمذ على يد مشاهير علماء الحديث الجرجانيين، وأبرزهم: عمران بن موسى بن مجامع السختياني الجرجاني صاحب المسند شيخ محدثي جرجان في زمانه (ت٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، وكان كما يصفه تلميذه أبو بكر الإسماعيلي صدوقاً فيما يحدث به[٤]. ويبدو أن والده حمدان بن محمد المشتوتي كان يصحبه إلى مجلس هذا العلاّمة خاصة أنه كان أحد تلاميذه الذين أخذوا منه ورووا عنه[٥]. وتتلمذ أيضًا على يد الفقيه عبد الله بن محمد بن أمية القرشي الساوي وأخذ منه وروى عنه روايات كثيرة منها: خبر مهم عن أسماء الرسول، ﷺ، ومعانيها، فعن عبد الرزاق بن همام،

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٢٢، ص٧٥.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٥٥٧، ص٣١٧

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٣١٧.

٤) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج٢، رقم٣٤١، ص٧٢٥، السهمي، تاريخ جرجان، رقم٥٧٨، ص٣٢٢، السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٢٣٣، ابن الأثير، اللباب، ج٢ ص١٠٨.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٠٢ ص٢٠٥، رقم٧٦٩ ص٤٢٨.

عن معمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله، ﷺ: "أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا العاقب"[١]. والحاشر كما ورد عن رسول الله، ﷺ، في حديثه الذى رواه الدارمي والبخاري ومسلم عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: "الذي يحشر الناس على قدمي" (على عقبي)، والعاقب "الذى ليس بعده أحد"[٢]، أو كما قال الزهري: الذي لا يكون بعده نبي[٣].

ونستدل من الروايات أن الفقيه المُحدّث محمد بن حمدان المشتوتي قد جلس للحديث بعد أن أتم علومه واكتمل تحصيله، وأن طلاب العلم قد تحلّقوا حوله ينهلون من علمه وعلم أجداده المهالبة بجرجان. وكان السهمي من أبرز تلاميذه الذين سمعوا منه وكتبوا عنه، وقد احتفظ بما كتبه عنه، وصارت هذه الروايات مصدرًا مهمًا لكتابه تاريخ جرجان[٤]. ومن تلاميذه أيضًا: أحمد بن عمر، وقد أخذ منه وروى عنه ما سمعه من روايات شيخه عبد الله بن محمد بن أمية الساوي وأخباره[٥]، وتتلمذ على يديه أيضًا الخليل بن محمد بن عبد الرحمن من قرية وسسكن بجرجان، وأخذ منه وروى عنه[٦]، ومنهم كذلك محمد بن أحمد بن علي الجرجاني، وكان قد سمع منه ومن شيوخ عصره بجرجان، مثل: أبو بكر الإسماعيلي وابن عدي وروى عنهم، ثم حدّث طلابه بما تعلمه منهم[٧].

وكان أحمد بن حمدان بن محمد المشتوتي (ت٣٥٧هـ/ ٩٦٨م) آخر منْ عثرنا عليه من المحدثين أسباط الفقيه عبد الرحمن بن عبد المؤمن. ورغم قلة ما وصلنا من معلومات عن هذا الفقيه، فإنه بلا شك قد نال ما ناله أخوه محمد بن حمدان من رعاية أبيهما وجدهما وأخوالهما، واهتمامهم بتخريجهما في العلوم الفقهية

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٧٨٠ ص٤٣٢-ص٤٣٣.

٢) الدارمي، سنن الدارمى، م٢، رقم٢٧٧٥، ص٤٠٩، البخاري، صحيح البخاري، ج٣، رقم ٣٣٣٩، ص١٢٩٩، مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص٨٩.

٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص٨٩-ص٩٠، السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٣٢-ص٤٣٣

٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٥٣.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٣٢.

٦) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣١٦، ص٢٠٩.

٧) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١١٨١، ص٥٤٦.

تخريجًا حسنًا، يؤيد هذا التخريج أنه تتلمذ على يد أبي إسحاق السختياني شيخ أخيه وروى عنه، كما أخذ عن جماعة غيره[١]. وقد جلس أحمد بن حمدان للحديث ودرس على يديه بعض طلاب العلم من أهل جرجان، ومنهم السهمي الذى درس عليه في صباه - كان أول سماع السهمي في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٦م، وهو في العاشرة من عمره تقريبا[٢]، وللأسف لم يحتفظ بما سمعه منه، فأضاع علينا معرفة إسهامات هذا الفقيه في خدمة العلم[٣].

ونختتم الحديث عن إسهام المهالبة في العلوم الدينية بجرجان بالإشارة إلى قيمة تربوية مهمة؛ فقد حرص معظم أهل جرجان على تعليم أبنائهم الصغار واصطحابهم إلى مجالس العلم منذ سن مبكرة، كما حرص بعضهم على أن يرافقوهم في رحلاتهم العلمية لتحصيل العلم على شيوخ الأمصار الإسلامية الأخرى. وكان المهالبة كما رأينا من أشهر بيوت العلم بجرجان، وقد حرصوا على تعليم أولادهم وغرس القيم الدينية في نفوسهم منذ صغرهم. فالسهمي يذكر أن أهل محمد بن حمدان بن محمد المشتوتي عملوا منذ صغره على تخريجه في العلوم الدينية تخريجًا حسنًا، وأسهموا في تكوينه تكوينًا علميًا متينًا؛ فحملوه إلى مجالس العلم، وعهدوا به إلى شيوخ عصره ليدرس على أيديهم. وكان جده عبد الرحمن بن عبد المؤمن معلمه الأول وكان يتعهده برعايته وعنايته، ويحدّثه برواياته وأخبار شيوخه، فصار السبط لصيقًا بجده ومن المقربين منه، وأصبح من أبرز رواته[٤]. ويبدو أن والده حمدان بن محمد المشتوتي كان يصحبه إلى مجلس عمران بن موسى السختياني، خاصة أنه كان أحد تلاميذه الذين أخذوا منه ورووا عنه[٥]. وكان أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن -كما يذكر السهمي- حريصًا على تربية أولاده تربية إسلامية صحيحة وتخريجهم في العلوم تخريجًا حسنًا، وغرس القيم النبيلة في نفوسهم ليُشبّوا متمسكين بها، ومنها الحرص على أداء صلاة

١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم٧٣، ص٩٩، ابن الأثير، اللباب، ج٣، ص٢١٥.
٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٤٨٤، ص٢٨٣، رقم٧٨٤، ص٤٤، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٠٨٩.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٩٩.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٥٣، رقم٧٦٩، ص٤٢٨.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٠٢، ص٢٠٥، رقم٧٦٩، ص٤٢٨.

الليل في المسجد، وكان مواظبًا عليها رغم ثقلها على بعض الأطفال، يؤيد ذلك أن ابنه أبا جندب كان يقول: "كان والدي ينبّهني في الليل ويُخرجني لأصلي صلاة الليل معه، يقول لي: نحب أن تعتاد هذا" [١].

٣/٢/٤ الصلات العلمية للمهالبة الجرجانيين بمراكز الثقافة الإسلامية الأخرى:

اشتهر أهل جرجان بشغفهم بالعلوم والآداب، وبذل الأموال في تحصيلها ببلادهم، وشدّ الرحال في طلبها خارجها[٢]. وقد اعتنى المهالبة بنيل شرف الرحلة العلمية من بلدهم إلى مراكز الثقافة الإسلامية؛ للقاء الحفاظ وتحصيل الإسناد العالي والأجزاء الحديثية، وجمع طرق الأحاديث، ومناظرة الرواة والمذاكرة لهم، ومعرفة الرجال وغيرها من الفوائد، وهي سُنة علماء الحديث وطلابه[٣]. ومن الأمثلة البارزة على توافد طلاب العلم المهالبة الجرجانيين على الأمصار الإسلامية ما تذكره المصادر عن عبد الرحمن ابن عبد المؤمن، فبعدما أكمل تحصيله على علماء بلده وأخذ منهم، خرج في رحلة علمية جاب فيها بعض مراكز الثقافة الإسلامية؛ ليقابل شيوخها ويتتلمذ عليهم وينهل من فيض علمهم، فدخل بسطام والدامغان وتتلمذ على يد شيوخهما، ومنهم: الحسين بن عيسى بن حملان البسطامي[٤]، وسليمان بن سعيد الدامغاني[٥]، وروى عنهما. ورحل إلى خراسان، وتتلمذ على مشاهير علمائها وسمع منهم، وأبرزهم: أبي عمر الخراساني محمد بن عبدك[٦]، وعيسى بن محمد بن بكير السلمي وكان لصيقا به وسمع منه الكثير من الروايات ثم حدّث بها، ومنها: روايته عن شيخه عن السيدة عائشة، رضى

---

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص٨٥.

٢) ترجم السهمي لكثير من علماء جرجان الذين رحلوا في طلب العلم، وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً عظيمة (السهمي، تاريخ جرجان، ص١٢١-ص٤٤٧).

٣) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ص٨٩-ص٩٠، ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق وشرح نور الدين عتر، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، الصفحات: ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٦.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٢٧٠ ص١٩٠-ص١٩١.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٥٤، ص٢٢٢.

٦) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٣٤، ص٨٥، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٢.

الله عنها، أنها قالت: "نهى النبى، ﷺ، أن يقطع السارق في أقل من ربع دينار"، وقد علق ابن عدي تلميذ ابن عبد المؤمن على هذا الحديث بقوله: "هذا حديث غريب من رواية ميمون عن عروة، ليس له إلا هذا الطريق"[١]. ومنها أيضًا: رواية ابن بكير السلمي عن شيخه الهذيل بن إبراهيم عن أسانيده عن عبد الله بن مسعود أن الرسول الكريم، ﷺ، قد فسّر فيما أخبره به جبريل -عليه السلام- كلمتي "لا حول ولا قوة إلا بالله" أنهن "لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله"[٢]. كذلك روى ابن عبد المؤمن عن شيخه ابن بكير السلمي عن أسانيده عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- تحذير الرسول، ﷺ، للمسلمين بالإمساك عن الكلام واللغط عند ذكر القدر والنجوم والصحابة، رضوان الله عليهم، أجمعين[٣]. وروى عنه أيضًا عن شيخه خبراً عن حياة الصحابة الخاصة ومكانة بعضهم عند رسول الله، ﷺ، فعن يونس عن الحسن البصري أنه قال: "خطب المغيرة بن شعبة وعمر بن الخطاب امرأة فزوّج المغيرة ومنع عمر، فقال رسول الله، ﷺ: "لقد رَدُّوا خير هذه الأمة"[٤].

ورحل عبد الرحمن بن عبد المؤمن أيضًا إلى مكة المكرمة لأداء الفريضة والتتلمذ على شيوخها والوافدين عليها والمجاورين بها، فتحلّق حول محمد بن زنبور بن الأزهر المكي، وسمع منه روايات كثيرة، منها: عن حمّاد بن زيد عن ثابت البناني عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، خبراً عن بعض صفات النبي، ﷺ، الخلقية والأخلاقية، وقيامه بدوره كقائد شجاع يدافع عن عاصمته المدينة المنورة ضد الأخطار التي تُحدق بها، يقول أنس بن مالك: "كان النبي، ﷺ، أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي، ﷺ، سبقهم على فرس، وقال وجدناه بحرًا" أخرجه عبد الرزاق والشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح[٥].

---

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٤١٥، ص٢٥٦.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٤٤٩، ص٢٩٤-ص٢٩٥.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٩٥.

٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٩٥.

٥) الصنعاني، المصنف، ج١١، رقم٢٠٩١، ص٤٢٧، البخاري، صحيح البخارى، م٢، ج٤، ص٢٧، الترمذي، السنن، ج٤،

وكان محمد بن عبد الرحمن من المهالبة الذين تغرّبوا عن جرجان في طلب العلم، فرحل عنها في رحلة علمية طويلة دخل فيها العراق ومصر، وجلس إلى علمائها وروى عنهم، ومنهم: يحيى بن عثمان بن صالح، ويحيى بن أيوب التجيبي وغيرهم، وكانت رحلته إلى مصر كما يذكر السهمي في سنة ٢٨٢هـ/٩٠٤م[١]. ونستدل من الروايات أيضًا أنه دخل بعض مدن الشام، منها: أنطاكية وتتلمذ على شيوخها، ومنهم: أحمد بن إبراهيم بن فيل الأنطاكي، وسمع منه روايات كثيرة، وقد احتفظ السهمي برواية منها عن شيوخه عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن النبي، ﷺ، قال: "من جلب طعامًا إلى مصر من أمصار المسلمين كان له أجر شهيد"[٢]، وهو حديث صحيح الإسناد، وأخرجه السهمي عن شيخه الإسماعيلي[٣]، وأخرجه الخطيب البغدادي أيضًا من طريق فرقد عن إبراهيم النخعي وزاد "فباعه بسعر يومه" بعد "المسلمين"[٤]. كذلك تعددت رحلات عبد الرحمن بن محمد بن حمدان المشتوتي العلمية إلى مراكز الثقافة الإسلامية المشرقية؛ ليأخذ عن شيوخها وينهل من فيض علمهم، فزار بغداد وتتلمذ على يد مشاهير شيوخها، ورحل أيضًا إلى همذان والري وكرمان[٥].

٤/٢/٤ انتشار علوم المهالبة الدينية خارج جرجان:

بلغ المهالبة الجرجانيون درجة عالية في العلوم الدينية، خاصة الفقه الشافعي، وأصبحوا من شيوخ العلم في عصرهم، وصارت جرجان بفضل مكانتهم ومكانة غيرهم العلمية إحدى المراكز الثقافية الإسلامية. وقد أدرك طلاب العلم والعلماء في الأمصار الإسلامية الأخرى مكانتهم العلمية، فشدوا إليهم الرحال وقصدوهم للاستفادة منهم والنّهل من فيض علمهم. وعند عودتهم إلى بلادهم والبلاد التي

رقم١٦٨٦-١٦٨٧، ص١٩٧، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص١٩-ص٢٠، السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٢.

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص٣٩٨.

٢) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج٢، رقم١٧١، ص٥٣٤-ص٥٣٥.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٦٧١، ص٣٩٨.

٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٤٢.

٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٦٠.

زاروها حدّثوا بما استفادوه من علمهم وعلم غيرهم من الجرجانيين. وكان عبد الرحمن بن عبد المؤمن ممن تجاوز علمهم حدود جرجان وانتشر في بعض مراكز الثقافة الإسلامية؛ إذ استقر بعض تلاميذه هناك؛ فقد حدّث محمد بن أحمد ابن إبراهيم الصباغ الفقيه الجرجاني، وكان قد درس ببغداد ومات فيها، طلابه هناك ببعض روايات شيخه ابن عبد المؤمن ومنها حديثًا مهمًا للرسول، ﷺ، يوضّح فيه موقفه من بعض الفرق الإسلامية، فعنه، ﷺ، أنه قال: "صنفان من أمتي لا يدخلون الجنة: المُرجئة والقدرية"[١]. كذلك روى عنه تلميذه محمد بن إبراهيم ابن الحسن الفرّخاني الفقيه الجرجاني بسمرقند؛ إذ كان قد نزلها واستقر ومات بها في ربيع الآخر ٣٧٠هـ / أكتوبر ٩٨٠م، وكان فقيهاً ثقة في الحديث زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة[٢].

ونستدل من الروايات أن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن البزاز بلغ مبلغاً عظيماً في العلوم الفقهية وأصبح شيخاً من شيوخ عصره بجرجان، وذاع صيته في الآفاق، فالتف حوله طلاب العلم من أهل جرجان، كما توافد عليه، وعلى غيره من شيوخ جرجان، بعض طلاب العلم والشيوخ الوافدون يأخذون منه ويروون عنه. ولا شك أن الغرباء من تلاميذه قد نشروا علمه وعلوم بقية شيوخهم الجرجانيين، عندما حدّثوا بها في جرجان نفسها وفي بلدانهم والأمصار الإسلامية الأخرى التي زاروها. فالسهمي يذكر أن عبد الواحد بن بكر الورثاني الصوفي - نسبة إلى قرية ورثان بشيراز - وكان ممن رحل وكتب الكثير بالشام ومصر (توفي بالحجاز سنة ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢م)، سمع وحدّث بجرجان بأخباره وأحاديثه[٣]. أما أبو سعد الماليني الهروي (توفي بمصر سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م)، فقد سمع كثيراً من كتب الجرجانيين، وحدّث بجرجان، وسمع منه بعض أهلها ومنهم السهمي نفسه، ثم رحل رحلات كثيرة إلى معظم مراكز الثقافة الإسلامية في عصره (البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز وخراسان وما وراء النهر وأصبهان). ومن المرجّح

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٠٢٠، ص٥٠٢-ص٥٠٣.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١١٥٩، ص٥٤٠.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم٤١٠، ص٢٥٣، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٥٨٧-ص٥٨٨.

أنه حدّث بهذه البلدان بما سمعه من شيوخه الجرجانيين ومنهم البزاز المهلبي[١].

ونستدل من الروايات أن الخليل بن محمد الجرجاني حدّث بروايات شيخه محمد بن حمدان المشتوتي وغيره من علماء جرجان الذين تتلمذ على أيديهم مثل ابن عدي، في مجالس العلم بالبلدان الإسلامية التي حلّ بها ومنها بلاد الحجاز التي زارها لأداء فريضة الحج وبلاد العراق[٢]. وقد انتقل عبد الرحمن بن محمد ابن حمدان المشتوتي إلى مدينة طوس واتخذها مستقراً له حتى توفي بها في سنة ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م[٣]. ومن المرجّح أنه حدّث طلاب العلم الذين جلسوا إليه بطوس برواياته التي أخذها عن شيوخه؛ مما أسهم في نشر علوم الجرجانيين ومنهم المهالبة ببلاد الشام.

٥/٢/٤ رعاية المهالبة للحركة الأدبية بجرجان ومشاركة بعضهم فيها:

أبدى المهالبة اهتمامًا كبيرًا بالحركة الأدبية بجرجان، فبدأ بلاطها يتلألأ بالشعراء والأدباء بعد تعميرها وتمصيرها. فقد سعى يزيد بن المهلب إلى جذب كوكبة من شعراء العرب وأدبائهم، ومنهم من كان بالعراق، إلى جرجان، لينيروا بلاطه هناك. وتمثلت رعايته لهم في صور شتى؛ فكان يغدق عليهم العطايا قبل أن يتكبدوا مشقة الحضور إليه، كما كان يوفر لهم أيضًا وسائل الانتقال المريحة الآمنة بواسطة رجاله بالعراق. فالروايات تذكر أن يزيد بن المهلب كتب حين فتح جرجان إلى أخيه مروان بن المهلب بالبصرة أن يحمل إليه الفرزدق الشاعر، وأن يدفع إلى أهله مبلغًا للنفقة في أثناء غيابه[٤]. وكان يزيد بن المهلب قد استعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، وصّير مروان بن المهلب -وكان أوثق إخوته عنده- على أمواله وأموره هناك[٥]. فدعا مروان بن المهلب الفرزدق وأبلغه برغبة يزيد بن المهلب، وأخبره أنه إذا قدم عليه، أعطاه مائة ألف درهم، فقال له

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١١٢، ص١٢٤.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٠٩.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٦٠.

٤) حدده الفرزدق بأربعة آلاف (شرح ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٣٨)، وذكر السهمي أنه كان عشرة آلاف درهم، المرجع نفسه، ص٥٥.

٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٢٦، ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٥.

الفرزدق: ادفع إليّ أموال النفقة والجهاز، قال: أشخص وأدفعها إلى أهلك، فأبى إلا أن يأخذها بنفسه، ووافق على أن يذهب إلى جرجان زائرًا؛ ليمدح فاتحها تقديرًا وإعـزازًا له، وليثأر لأعراض المهالبة ممن هجوهم، وطمعًا في الجائزة المالية الكبيرة، وأنشأ يقول (الطويل):

دعاني إلى جرجانَ و الريُّ دونه أبو خالد، إني إذًا لزؤورُ

لآتي من آل المهلب ثـــائرًا بأعراضها، والدائرات تدور

سآبي وتأبى لي تميم، وربمـــا أبيت فلم يقدر عليّ أميـــر[١]

كأني ورحلي والمنايا ترتمـــي بنا، بجنوب الشّيّطين حميرُ[٢]

ويؤكد العوتبي ما ذكرناه عن رعاية يزيد بن المهلب للشعر والشعراء فقال: "فبلغ من أمر يزيد بن المهلب حتى سار بالعساكر، وفتح جرجان، وزاد علوّ همته، وبذل المال، فقصدته صناديد العرب وشعراؤها، فأعطى وأكثر" [٣].

وعندما تقلد خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ولاية جرجان للخليفة المهدي العباسي صحب معه أولاده، وبعض المهالبة البصريين، ومن بينهم: الشاعر أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب، وكان كما يصفه الأصفهاني شاعرًا مطبوعًا ظريفًا، أكثر شعره في الغزل والهجاء، وشاعر مهلبي آخر لعله أخوه عبد الله بن محمد وكان أكبر منه ويُقدم عليه، فكانوا في جملة جنده[٤]. ورغم أن هؤلاء الجند المهالبة كانوا طارئين على جرجان، ورغم حنينهم إلى العراق وتشوّقهم إلى معاهدهم هناك، فإنهم أسهموا في الحياة الاجتماعية والأدبية بها؛ فكانوا يشاركون وبعض أصدقائهم من رفاق السلاح في مجالس الطرب والموسيقى والشراب، ليُسرّوا على أنفسهم في غربتهم، وأنشد أبو عيينة بن محمد في ذلك

١) الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٣٨، السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٥-ص٥٦، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص٣١٠، القاضي أطهر، العقد الثمين، ص١٨٧.

٢) الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٣٨.

٣) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص٦٥٠.Hinds, An Early Islamic family from Oman, p.65

٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، الصفحات: ١٠٧، ١١٤، ١١٧، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٩.

شعرًا منه (الخفيف)[١]:

كيف صبري ومنزلـي جرجانُ والعراق البـلادُ والأوطانُ؟
نحن فيها ثلاثةٌ حُلفـاء وندامى على الهوى إخوانُ
نتساقى الهوى و نطربُ للذكر كما تطرب النشاوى القيانُ

وقد دفعت الحاجة بعض هؤلاء المهالبة وكانت أرزاقهم من الجيش قليلة، إلى الارتزاق بشعرهم، وكانوا شعراء ظرفاء، فكانوا كما يذكر أبو الفرج الأصفهاني "يمدحون السّراة من أهل جرجان فيصيبون منهم ما يُقوّتهم"[٢]. ونستدل من إحدى قصائد أبي عيينة بن محمد المهلبي أنه مدح الخليفة موسى الهادي، واشتكى له سوء حاله بجرجان، ويسأله إنعاشه، وإنقاذه مما فيه، ومما جاء فيها:

لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى فلكم من ردى الزمـان أمـانُ
كم إلى كم يغضى على الذل منه وإلى كم يكون هذا الـهـوان؟
فاكفنا خالداً فقد سامنا الخسـ فُ رماه لحتفه الرحمنُ

فلما قرأ الهادي هذه القصيدة رق له، وأمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه[٣]. ويتضح مما سبق أن شعراء المهالبة بجرجان قد طرقوا غرضين من أهم أغراض الشعر العربي القديم وهما: الحنين للوطن، والمدح. ولا شك أنهم أسهموا بهذه القصائد الشعرية في إثراء الحركة الأدبية في جرجان.

ومن الطريف أن شُح خالد بن يزيد بن حاتم المهلبي صاحب جرجان، وبخله وتقتيره على ابن عمه أبي عيينة بن محمد وقد وعده الإحسان والولاية عندما اصطحبه معه إلى جرجان، وتأخره في تسليم الأرزاق لجنده، دفع أبا عيينة إلى هجوه والطعن عليه، وبسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح عند حاشيته ووجوه أهل

١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١١٧.
٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١١٧.
٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١١٨.

جرجان حتى فضحه، فلم يقدر على معاقبته -كما يذكر الأصفهاني- تقديرًا لوالده ومكانته في بني المهلب[١]. فارتاد بذلك غرضًا مهمًا من أغراض الشعر القديم وهو الهجاء، وقد صاغ كل هذه المعاني شعرًا جيدًا، جعله في رأي الخليفة هارون الرشيد والفضل بن الربيع، أهجى شعراء عصره[٢]. ويذكر ابن النديم أن مجمل شعر أبي عيينة بلغ مائة ورقة[٣]. ومن المرجّح أنه نظم معظمه في أثناء وجوده بجرجان. وقد احتفظ أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني بقصائد طويلة من هذا الشعر عند حديثه عن نسب هذا الشاعر وأخباره، ومنها قوله فيه (الكامل)[٤]:

مالي اصطفيتُ على التعسفِ خالدًا ... واللّه ما أنا بعـــدها بأريـبِ
تباً لصُحبة خالدٍ من صحبــة ... ولخالد بن يزيد من مصحــوبِ
يا خالد بن قبيصة هيّجت بـي ... حربًا فدونك فاصطبر لحروبيِ

ومما لا شك فيه أن هذا الشعر تردّد في مجالس أهل جرجان ومحافلها -كما في غيرها من مجالس العراق ومحافله-، فأسهم بذلك أيضًا في إثراء الحياة الأدبية فيها.

٦/٢/٤ مهالبة جرجان ورواية التاريخ والأخبار:

اهتم نفر من المهالبة الجرجانيين بالتاريخ والأخبار، ومنهم: إبراهيم بن هانئ، وكان كما رأينا من الفقهاء الزهاد من أعلام المذهب الشافعي القائمين على نشره، ورغم أنه لم يؤلف في التاريخ والأخبار مصنفاً، إلا أنه كان حافظا للأخبار راويًا لها. وقد حدّث بها تلاميذه بجرجان، فتناقلوها بدورهم وذكروها لتلاميذهم. وكان إبراهيم بن هانئ ممن اعتمد السهمي عليهم، وعوّل على رواياته التي أصبحت مادة خصبة لكتابة تاريخ جرجان. وجدير بالذكر أن السهمي قد استمد

١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١٠٧-ص١٠٨، وانظر أيضًا: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٩ ص٣٧٠.
٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١١٦-ص١١٧.
٣) ابن النديم، الفهرست، ص٧٠٩.
٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١٠٨-ص١١٨. وانظر أيضا: المبرد، الكامل، ج٢، ص٣١-ص٣٦.

هذه الروايات من تلاميذ ابن هانئ، ومنهم: جده إبراهيم بن موسى السهمي، وكان قد كتب الكثير من الأخبار عن شيخه ابن هانئ[1]، وأبي بكر الإسماعيلي. وروى السهمي خبرًا تاريخيًا مهمًا عن شيخه أبي بكر الإسماعيلي كان قد سمعه من شيخه ابن هانئ يتعلق بزيارة قاضي القضاة أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي صاحب أبي حنيفة النعُمان (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، لجرجان بصحبة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م[2]، فقال إن شجاع بن صبيح الجرجاني صلى وراء القاضي أبي يوسف يعقوب في أحد أيام هذه الزيارة، فقال له: "أحسن صلاتك أيها القاضي"، فتدارك القاضي. وقد تركت هذه النصيحة أثرًا طيبًا في نفسه فيما بعد، حتى أنه كان حين يصلي يظن أن وراءه شجاع الجرجاني يقول له: أحسن صلاتك[3]. ويتضح من هذا الخبر فهم الفقهاء الجرجانيين العميق لأحكام الدين الإسلامي وأداء شعائره بشكل صحيح، بل وتقويمهم لمن زلّ في أدائها. وجدير بالذكر أنه رغم صدق القاضي أبي يوسف يعقوب وتقدّمه في العلم والحكم على أهل زمانه، فإنّه كان كثير الغلط والتصحيف؛ والأمثلة على ذلك كثيرة، فالبغدادي يذكر نقلاً عن أسانيده أن رجلاً سأل القاضي أبا يوسف عن موقف أحد المسلمين صلى مع الإمام في مسجد عرفة، ثم وقف حتى دفع بدفع الإمام؟ فقال القاضي: لا بأس به، فتعجب السائل وقال: سبحان الله!، قد قال ابن عباس: منْ أفاض من عرنة فلا حج له، مسجد عرفة في بطن عرنة. فقال (أي أبو يوسف): أنتم أعلم بالأحكام ونحن أعلم بالفقه. فقال الرجل السائل: إذا لم

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٦، السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٣٤٥.

٢) لم يحدد السهمي تاريخ زيارة القاضي أبي يوسف يعقوب لجرجان. غير أنه ذكر في موضع آخر أن هارون الرشيد ورد جرجان؛ إذ توجه إلى طوس سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م (تاريخ جرجان، ص٥٧). ولا شك أن هناك خطأ طباعيًّا، أو أن الأمر التبس على السهمي؛ فهارون الرشيد لم يكن قد ولد بعد في هذا التاريخ (ولد سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، كما أنه تقلد الخلافة في عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، فوجد أبا يوسف يعقوب على قضاء بغداد منذ عهد الخليفة موسى الهادي، فأقره عليه (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٤٢، ابن أبي الدم الحموي، كتاب أدب القضاء، تحقيق محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص٦٦-ص٦٧). ولذلك فمن المرجح أن يكون عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، هو تاريخ هذه الزيارة، وأن ناسخ المخطوطة أخطأ في التاريخ، فاستبدل السبعين بالأربعين، كما أن هذا التاريخ يتفق ومنطقية الأحداث؛ إذ خرج الخليفة هارون الرشيد في مستهل ولايته يتفقد أحوال أطراف دولته فزار طوس، وعرّج في طريقه إليها نحو غيرها من المدن ومنها جرجان.

٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٦٧، ص٢٢٨-ص٢٢٩.

تعرف الأصل فكيف تكون فقيها؟!"[١].

كذلك حدّث أبو بكر الإسماعيلي طلابه عن شيخه ابن هانئ بأخبار مهمة عن حياة العباد والزهاد الجرجانيين المعاصرين له، ومهنهم وكراماتهم؛ فهو يذكر أن إسحاق بن حنيفة كان يأكل من كسب يده يورق ويشارط من يكتب له من الطرف إلى الطرف من البياض وعدد الأسطر، كذلك وصف ابن هانئ جنازة هذا العابد بقوله: "رأينا طيورًا خضرًا مصطفين فوق الجنازة وفوق القبر إلى أن دفن لم أر مثله قبل ولا بعد"[٢].

ونستدل من رواية لأبي بكر الإسماعيلي على بعض خصائص إبراهيم بن هانئ كإخباري وحافظ لسير الفقهاء والمحدثين المشارقة وأخبارهم، فقد كان يتمتع بقوة الحفظ والإدراك والنقد ومواجهة بعض الفقهاء المعروفين بالتدليس والكذب. فعندما ادعى الفضل بن عبيد الله الحميري الإستراباذي نزيل جرجان أنه تتلمذ على يد الإمام محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (نسبة إلى فرياب بليدة بنواحي بلخ)، وروى عنه[٣]، أدرك إبراهيم بن هانئ أنه يغلط، فقال له: "لعلك أردت إبراهيم بن محمد بن يوسف؟"[٤]، فأكد الحميري له أنه صادق فيما يقول، فعلق إبراهيم بن هانئ على هذا الادعاء بقوله: إنه كاذب؛ لأن محمد بن يوسف كان قد مات (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م) قبل أن يولد هذا المدّعي[٥]. ولعل عبد الله

١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٥٥-ص٢٥٦. وعن ترجمته، راجع: وكيع، أخبار القضاة، م١، ج٤، ص٦٥٠-ص٦٥٧، البغدادي، نفسه، ج١٤، ص٢٤٢ ص٢٦٢، ابن أبي الدم الحموي، كتاب أدب القضاء، الصفحات: ٦٦، ٦٧، ١٢٣، ٤٣٤، ٤٨٠ ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، رقم٢٧٣، ص٢٩٢ ص٢٩٤، التقي التميمي، الطبقات السّنية في تراجم الحنفية، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الرياض، ١٩٨٣م، ج١، ص١٦٠-ص١٦٩.

٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٧٨، ص١٥٢.

٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد الفريابي، أحد الأئمة المشهورين في الفقه. وكان -كما يذكر تلميذه الإمام البخاري- من أفضل أهل زمانه، صدوقا ثقة فيما يرويه، وحّدث بمكة وكتب عنه طلاب العلم هناك، وسكن الفريابي قيسارية ورحل الناس إليه. عن ترجمته، راجع: السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٣٧٦، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ج١ رقم٣٧٢ ص٣٧٦، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج٩، ص٥٣٥ ص٥٣٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، رقم٣٥١، ص١٥٩ ص١٦٠، كذلك الصفحات: ٨٥، ٩٠، ٩١، ٢٤٥، ٢٥٨، الذهبي، العبر، ج١، ص٣٦٣.

٤) هو ابن الإمام محمد بن يوسف الفريابي، ونزل إبراهيم بن محمد بن يوسف بيت المقدس وسكنها وحدثّ بها. راجع: السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٣٧٧.

٥) أبو بكر الإسماعيلي، المعجم، ج٢، رقم٣٨٠، ص٧٦٦، السهمي، تاريخ جرجان، رقم٦٠١، ص٣٣٠، سؤالات حمزة بن يوسف، رقم ٣٥١، ص٢٤٦-ص٢٤٧.

ابن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي شيخ ابن هانئ كان أحد مصادره المهمة التي استقى منها معلوماته القيمة عن الإمام الفريابي؛ فقد كان الأخير أستاذًا للسمرقندي الذي أخذ منه وروى عنه كثيرًا من الروايات[١].

٧/٢/٤ انخراط بعض مهالبة جرجان في حياة الزهد:

اشتهرت جرجان بكثرة المتصوفة والزهّاد الذين انصرفوا إلى حياة الزهد والعزوف عن الدنيا والانقطاع إلى عبادة الله. وقد انخرط بعض المهالبة في هذا الاتجاه الروحاني بالإضافة إلى مشاركتهم في العلوم الدينية وبروزهم فيها، فظهر منهم: إبراهيم بن هانئ وكان من العلماء الزهاد[٢]. وقد أخذ ابن هانئ الزهد عن مشاهير الزهّاد الجرجانيين في عصره، منهم: إسحاق بن حنيفة نزيل سليمان أباذ، وقد كان عزيز الحديث جدًا، مشتغلا بالعبادة. ويبدو أن ابن هانئ كان لصيقًا بشيخه مقدرّاً له، معجباً بمنهجه؛ إذ كان يقول: "لم أر مثل إسحاق ابن حنيفة، ولا رأى إسحاق مثل نفسه"[٣]، ومنهم أيضًا: إبراهيم بن يزيد بن المهلب البجلي[٤]، وداود بن قتيبة البيرقاني، وقد وصفه ابن هانئ قائلًا: "كان من خيار عباد الله"[٥] .

ويتضح من الروايات أن إبراهيم بن هانئ كان من الزهاد المعتدلين الذين أدركوا حد الاعتدال في الزهد، وأنه لا يعني لبس المرقعات والفوط والهيئة الرثة، وتشعيث الشعر، وأنه لا يتعارض مع الثراء والتمتع بما أحل الله لعباده من ملذّات الحياة[٦]. فالسهمي يذكر نقلاً عن أبي بكر الإسماعيلي تلميذ ابن هانئ أنه كان حسن اللباس، وأنه خرج يوماً إلى الجامع وقد لبس ثيابًا فاخرة وتعطر، فرأته امرأة فتعجبت من حُسن هيئته وهو الفقيه الزاهد، وسألته: إنك عالم زاهد تلبس

١) السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٣٧٦.
٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٣٩، ص١٣٣، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤١٩.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٧٨، ص١٥٢.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٢٧، ص١٢٧.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٢١، ص٢١٠.
٦) أشار النبي، ﷺ، إلى الزهد فقال: "ما هو بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال"، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص١٧١).

مثل هذه الثياب لا تستحي من الله؟ فقال لها: "أستحي من الله أن أقدر أن ألبس أحسن من هذا فلا ألبس"[١]. ولاشك أن ابن هانئ كان في مسلكه هذا ينفذ أوامر الله، سبحانه وتعالى، لعباده أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد، فسبحانه عز وجلّ يقول: (يا بني آدمَ خُذوا زِينَتَكُم عِندَ كل مَسجدٍ وكلوا واشرَبوا ولا تُسرفوا إنه لا يُحبُ المُسرفينَ، قل منْ حَرّمَ زينَةَ اللّه التي أخرجَ لعباده والطيبات من الرزقِ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خَالصةً يومَ القيامةِ كَذلك نُفصل الآيات لقوم يَعلمونَ)[٢].

وقد التفّ حول ابن هانئ بعض تلاميذه من المريدين والزهّاد، ولاشك أنه كان يعظهم بمسجده. ونستدل من الروايات على بعض أساليبه في تربيتهم، فقد كان يصحبهم في زيارات ميدانية إلى المقابر ليدلّهم على قبور أولي الفضل والزهّاد والصالحين من أهل جرجان والغرباء الذين دفنوا في مقابرها، لاسيما هؤلاء الذين كان يسرد أخبارهم. فأبو بكر الإسماعيلي يذكر أن شيخه ابن هانئ قد صحبه في زيارة لمقابر سليمان أباذ وأراه قبر شجاع بن صبيح الزاهد الجرجاني[٣]. ولعله كان يلجأ إلى هذا الأسلوب ليعمّق في نفوس تلاميذه عمليًا القيم الدينية الأصيلة ومنها زيارة القبور؛ ليدركوا فضلها العظيم.

وقد اكتسب ابن هانئ بورعه وزهده ودعواته المستجابة مكانة اجتماعية رفيعة عند الجرجانيين، فاعتبروه من الأولياء الصالحين، وكانوا يتبركون به. ولم يكن ذلك في حياته فحسب، وإنما امتد بعد وفاته أيضًا؛ إذ ظل قبره بمقبرة جرجان بقرب قنطرة عبد الله مشهورًا، يزوره الناس للتبرك به، والدعاء عنده تقرباً إلى الله بصاحبه العابد الزاهد[٤].

وكان عبد الرحمن بن عبد المؤمن من المهالبة الزهاد، وقد وصفه السهمي

١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم١٣٩، ص١٣٣، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤٢٠.
٢) سورة الأعراف، الآيتان ٣١-٣٢.
٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٦٧ ص٢٢٩.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٣٣، السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤١٩.

تارة بالعبد الصالح[١]، وبالشيخ الصالح تارة أخرى[٢]. وكان كما يذكر الذهبي من كبراء جرجان وعلمائها[٣]، وكان معاصرًا لابن عمه إبراهيم بن هانئ إمام الشافعية في وقته، وتتلمذا معاً على شيوخ الزهّاد الجرجانيين ورويا عنهم، ومنهم: إبراهيم بن يزيد بن المهلب البجلي[٤]، وتتلمذ عبد الرحمن بن عبد المؤمن على يد إسحاق بن حنيفة وسمع منه وروى عنه روايات كثيرة، وقد احتفظ السهمي ببعضها، وهي تتعلق بالسنة النبوية الشريفة بخصوص أداء المسلم للصلاة بشكل صحيح، وتحديد الوقت بين الأذان والإقامة، وسبب ذلك. فعن عمار بن هارون، عن عبد المنعم بن نعيم البصري، عن يحيى بن مسلم البكّاء الكوفي أنه سمع الحسن البصري وعطاء يحدثان عن جابر بن عبد الله أن النبي، ﷺ، قال لبلال:"يا بلال! إذا أذنت فترسل، وإذا أقمت فاحدر، واجعل بين أذانك وإقامتك كقدر ما يفرغ الآكل من أكله، والشارب من شربه، والمعتصر لقضاء حاجته، ولا تقوموا إلى الصلاة حتى تروني"[٥]، أخرجه ابن عدي من طريق يحيى البكّاء[٦]. وفي رواية أخرى كتب ابن عبد المؤمن عن شيخه أبي حنيفة عن شيوخه عن حجاج عن أبي عثمان عن عبد الله بن مسعود أنه قال :"رآني النبي، ﷺ، قد وضعت شمالي على يميني في الصلاة فمشى إليَ حتى وضع يميني على شمالي"[٧]. ومنهم أيضًا: داود بن قتيبة البيرقاني الجرجاني وكان من خيار عباد الله[٨].

١) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٩٤.
٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٦٩.
٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ج٢، ص٧٥٧.
٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٢٧، ص١٢٧.
٥) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٥٤.
٦) ابن عدي، الكامل، ج٧، ص١٩٢.
٧) السهمي، تاريخ جرجان، ص١٥٤.
٨) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٢١، ص٢١٠.

الخاتمة:

بيّنت الدراسة عروبة المهالبة وعمانيتهم، وسابقتهم إلى الإسلام زمن النبوة. وبينت أيضًا أصالتهم وبروزهم في خدمة الدولة الإسلامية في مجالات الحرب والإدارة منذ عصر الخلفاء الراشدين. كما بيّنت الدراسة أن الفتح الإسلامي لجرجان في عهد الخلفاء الراشدين لم يكن مستقرًا، وأن قتيبة بن مسلم الباهلي -رغم جهوده العسكرية العظيمة في هذه النواحي- لم يضع حدًا لتجاوزات الجرجانيين. وكشفت الدراسة أن يزيد بن المهلب كان خبيرًا بأحوال منطقتي جرجان وطبرستان، مُطلعًا على فساد أهلهما، وأنه لم يُبالغ في تقدير خطورة ترك المسلمين لجرجان دون الاستيلاء عليها. وبيّنت الدراسة أن الجرجانيين سارعوا إلى مسالمة يزيد بن المهلب ومودعته مهابة منه. وأثبتت الدراسة أن فتحه الأول لجرجان لم يكن حاسمًا، وأنه أعاد فتحها مرة ثانية وثأر من أهلها. وبيّنت الدراسة أن يزيد بن المهلب كان معتزًا بفتح طبرستان وجرجان متباهيًا بهما؛ لأهمية هذا الفتح، وبروزه كفاتح عظيم يتفوق على السابقين عليه من قادة الفتح الإسلامي في المشرق. وكشفت الدراسة أن المدة التي مكث فيها يزيد بن المهلب بجرجان بعد فتحها كانت مليئة بالأعمال والمنجزات المهمة؛ كبناء جرجان وتمصيرها واختطاط المساجد الكثيرة بها، ونشر الإسلام بين أهلها. وكشفت الدراسة أنه قد ترتّب على فشل ثورة يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك، ومقتله ومعظم إخوته بالعقر وقندابيل، أن حلّت ببقية أهله وأعوانهم بجرجان وخراسان والعراق النكبات والمصادرات، وضياع سلطانهم هناك.

كما بيّنت الدراسة أن علاقة المهالبة بجرجان لم تنقطع في عصر الدولة العباسية، وأن ولاية خالد بن يزيد بن حاتم لجرجان حفّزت بعض أقاربه على الخروج إليها والاستقرار بها. وأثبتت الدراسة أن المهالبة أسهموا بفعالية في الحياة الثقافية بجرجان، فبرزوا رجالًا ونساءً في علمي الفقه والحديث، وأثبتت أيضًا أنهم بلغوا مكانة علمية رفيعة، ودوّت شهرتهم في الآفاق، وأسهموا في تشكيل ثقافة تلاميذهم الذين أصبحوا من أبرز علماء جرجان والأمصار الإسلامية. وكشفت الدراسة أن المهالبة اهتموا بالحركة الأدبية بجرجان منذ فتحها وتمصيرها، وأنهم اهتموا

بالتاريخ والأخبار. وكشفت أيضًا أن المهالبة الزهّاد أدركوا حد الاعتدال في الزهد، وأنه قد تطور من مجرد عبادات ونسك مظهرها التقشف، إلى فكر متوازن ينطوي على رؤى فلسفية للوجود.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

٤. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.

٥. ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، الطبعة الأولى، تحقيق: محي الدين على نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م.

٦. ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق وشرح: نور الدين عتر، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٨. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: د. ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م.

٩. ابن النديم، الفهرست، حققه وقدّم له مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م.

١٠. ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق على محمد البجاوي، مراجعة محمد على النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٦٧م.

١١. ابن حجر، تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٢. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، نشر عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٣. ابن حزم، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: د. شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م١٣، ديسمبر ١٩٥١م.

١٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٥. ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز وزميلته، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

١٦. ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٧. ابن رسته، الأعلاق النفيسة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٨. ابن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك. و. سترستين، دار الآفاق الجديدة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٩. ابن سلام، كتاب النسب، تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الحرع، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.

٢٠. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢١. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرحه وضبطه وعَنون موضوعاته أحمد أمين وآخرون، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٢. ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، قرأها ودققها على المخطوطات يحيى مختار عزاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٣. ابن قتيبة، المعارف، حققه وقدّم له ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٢٤. ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٥. إحسان ذنون الثامري، الحياة العلمية زمن السامانيين التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٦. الإزكوي العماني، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، حققه: عبد المجيد حسيب القيسي، الطبعة الرابعة، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠٠٥م.

٢٧. الإسماعيلي، أبو بكر، كتاب المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، دراسة وتحقيق: د. زياد محمد منصور، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٠م.

٢٨. الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٩. الأصفهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٠. الأصفهاني، حمزة ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

٣١. البخاري، صحيح البخاري، طبعة الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، ١٩٩٣م.

٣٢. البغدادي، الخطيب، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

٣٣. البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٤. البلنسي، ابن الأبار، الحلة السيراء، حققه وعلق على حواشيه د. حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣٥. التبريزي، الخطيب، شرح مقصورة ابن دريد، ٣٣، تحقيق: د. فخرالدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٦. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٧. الترمذي، شمائل النبي ﷺ، حققه وخرّج أحاديثه ماهر ياسين فحل، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٨. التميمي، التقي، الطبقات السّنية في تراجم الحنفية، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الرياض، ١٩٨٣م.

٣٩. الجاحظ، البيان والتبيين، قدم لها وبوبها وشرحها: د. على أبو ملحم، الطبعة الثانية، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٠. الحموي، ياقوت ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٧م

٤١. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٢. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف

والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤٣. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٥م.

٤٤. خليفات، عوض، نشأة الحركة الإباضية، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠٠٢م.

٤٥. الدارمي، سنن الدارمي، حقق نصه وخرّج أحاديثه وفهرسه فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٦. الدينوري، ابن قتيبة، غريب الحديث، صنع فهارسه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٧. الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عَمّان، ١٩٨٤م.

٤٨. الذهبي، تذكرة الحفاظ، بعناية: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٤٩. الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصبّاغ، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٥م.

٥٠. السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، مسقط،١٩٩٧م.

٥١. السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٢. السهمي الجرجاني، تاريخ جرجان، نشر تحت إشراف د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٣. سؤالات حمزة بن يوسف السهمي للدارقطني وغيره من المشايخ في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله عبد القادر، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٤م.

٥٤. سيف بن حمود بن حامد البطّاشي، تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، سلطنة عمان، ١٩٨٨م.

٥٥. السيوطي، طبقات الحفّاظ، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م.

٥٦. شعبان، محمد عبد الحي، صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٧. شهبة، ابن قاضي، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: د. على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.

٥٨. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، القاهرة، ١٩١٢م.

٥٩. الصنعاني، عبد الرزاق، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٠. الصّوافي، صالح بن أحمد ، الإمام جابر بن زيد العُماني وآثاره في الدعوة، الطبعة الثالثة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٩٧م.

٦١. الطبراني، المعجم الأوسط، حققه أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.

٦٢. الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٦٣. العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٩م.

٦٤. عبد المنعم سلطان، آل المهلب العُمانيون في المشرق الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، الطبعة الثانية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

٦٥. العسقلاني، ابن حجر ، تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٥هـ.

٦٦. العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨هـ.

٦٧. العوتبي الصحاري، الأنساب، تحقيق: د. محمد إحسان النص، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠٠٦م.

٦٨. الفسوي، يعقوب سفيان، كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

٦٩. القيرواني، الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، نشر المنجي الكعبي، الطبعة الأولى، تونس، ١٩٦٨م.

٧٠. كريستنسن، أرثر ، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.

٧١. الكيرانوي، حبيب أحمد، أبو حنيفة وأصحابه، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٩م.

٧٢. ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧٣. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٤. المبرد، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، قطر، ١٩٨٤م.

٧٥. مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق وشرح: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٨٦م.

٧٦. مجهول، تاريخ سجستان، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧٧. مجهول، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق ودراسة وتعليق: أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، نيقوسيا، قبرص، ١٩٨٥م.

٧٨. المسعودي، التنبيه والأشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

٧٩. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، إعتنى بها د. يوسف البقاعي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٨٠. المقدسي، البدء والتأريخ، تحقيق: كليمان هوار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٨١. نافع توفيق العبود، آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٩م.

٨٢. النامي، عمرو خليفة، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

٨٣. النرشخي، تاريخ بخارى، عرّبه عن الفارسية وقدّم له وحققه: د. أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٨٤. الهيثمي، مجمع البحرين في زوائد المعجمين المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني، تحقيق ودراسة: عبد القدوس بن محمد نزير، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٠م.

٨٥. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨٦. وكيع، أخبار القضاة، مراجعة: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، عام الكتب، بيروت، ٢٠٠١م.

٨٧. اليافعي اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق: عبد الله الجبورى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٨٨. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت، بدون تاريخ.